# منزلة النص القرآني عند شرّاح غريب الحديث والأثر

بقلم
أد / أبو السعود أحمد الفخراني

أستاذ أصول اللغة بكلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر
بإيتاي البارود

## بسم الله الرحمن الرحيم

**تمهيد :**

لقد لجأ بعض المفسرين إلى الحديث النبوي لتفسير القرآن الكريم بالحديث النبوي الشريف، فهل لجأ شرّاح الحديث النبوي لتفسير ألفاظ الحديث بالقرآن ؟

لقد طرقت أبواب شرّاح غريب الحديث وآثار الصحابة والتابعين كي أعرف منزلة القرآن الكريم بقراءاته في شرح مارآه العلماء غريبا من ألفاظ الحديث والأثر، " لا يفهمه أكثر الناس، ويعزّ إدراك بعضه على كثير من الخواص " كما يقول ابن الأثير(١).

والمشكلة التي صادفتني تعدد الكتب المتداولة الشارحة لغريب الحديث والأثر وضخامتها، ومن أبرزها كتاب غريب الحديث والأثر لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم ( ت ٢٤٤ هـ )، وغريب الحديث لابن قتيبة الدينوري ( ت ٢٧٥هـ )، وغريب الحديث لأبي سليمان الخطابي ( ت ٣٧٥هـ )، والغريبين لأبي محمد أحمد الهروي (ت ٤٠١ هـ)، والفائق في غريب الحديث لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، جار الله (٤٦٧هـ ـ ٥٣٨هـ)، والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى الأصفهاني (ت ٥٨١هـ )، والنهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير(٥٤٤هـ ـ ٦٠٦ هـ).

وقد اخترت من هذه المصادر الضخمة فائق الزمخشري ونهاية ابن الأثير . وسبب هذا الاختيار غزارة مادّتيهما، وضمهما ثروة هائلة في مجال لغة الحديث والأثر،علاوة على سعة ثقافة كل من صاحبيهما :

فالزمخشري ـ مع اعتزاله ـ أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه، وضُرب به المثل في علوم الأدب واللغة والنحووالعروض والتفسير والحديث والقراءات والفقه والأصول والتراجم والمنطق، وصنف تصانيف فيها، أحصيت منها أربعة وخمسين مصنفا، منها الفائق الذي قام ـ كما يقول مؤلفه ـ على " اعتماد فَسْرٍ موضح، وكشفٍ مفصح، اطّلعْتُ به على حاقّ المعنى وفص الحقيقة اطّلاعاً مؤدّاه طمأنينة النفس،

---

(١) انظر : منال الطالب في شرح طوال الغرائب ص ٣ تحقيق محمود محمد الطناحي ، ط جامعة أم القرى.

وثلج الصدر، مع الاشتقاق غير المستكره، والتصريف غير المتعسّف، والإعراب المحقق البصري، الناظر في نصّ سيبويه، وتقرير الفَسَوي "[١] ". وصار الفائق مرجعا لكثير من العلماء عبر القرون، منهم ابن الأثير في نهايته[٢].

وابن الأثير تنوعت ثقافته كذاك وأخذ من كل علم بطرف، فجمع بين علم العربية والقرآن والحديث وشيوخه وصحته وسقمه، والفقه وأصوله، والسيَر والتراجم، والرسائل، وصناعة الكتابة، وصنف تصانيف فيها، أحصيت منها ستة عشر مصنفا، منها كتاب النهاية الذي جمع فيه بين كتابي أبي محمد أحمد الهروي وأبي موسى الأصفهاني، واضاف غرائب أخرى لم ترد في الكتابين، وقد صارت النهاية عماداً رئيساً من الأعمدة التي أقام عليها ابن منظور لسان العرب، ونالت اهتمام اللغويين والمحدثين عبر القرون[٣].

وقد كان نهجي الذي سلكته لتحقيق هدفي والإجابة عن تساؤلي الذي طرحته آنفا نهجا وصفياً يقوم على تتبع آيات القرآن الكريم وقراءاته في الفائق والنهاية، واستقرائها، ثم الجمع والتصنيف والدراسة، على الرغم من الصعوبات التي واجهتني في هذا النهج وتحقيق الغرض، منها ضخامة الثروة العلمية في الفائق والنهاية، واقتصار الشيخين ـ خاصة ابن الأثير ـ على ذكر طرف الحديث أو الأثر الذي يشتمل على رواية اللفظ مما يصعب تخريجه من كتب السنة الصحيحة. وقد وفقني الله سبحانه إلى تحقيق هدفي فنقبت عن بُغيتي في هذين المصدرين، فكل الصيد في جوف الفرا، ولم أترك حديثا أو اثرا نقلته من هذين المصدرين ـ وكفى بهما ثقةً ـ دون محاولة تخريجه من كتب السنن، ووفقت إلى هذا بشكل كبير. وسوف يقف القارئ معي على مارأيته في

---

(١)مقدمة الفائق في غريب الحديث للزمخشري ص ١٠.

(٢) ترجم للزمخشري كثيرون ، منهم السمعاني في الأنساب ٣ / ١٦٣، تعليق البارودي ، ط بيروت ، والوزير القفطي في إنباه الرواه ٣ / ٢٦٥، ترجمة رقم٧٥٣ تحقيق أبي الفضل إبراهيم ، طبيروت ١٤٠٦هـ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٠ / ١٥١ ترجمة رقم ٩١ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .إلخ.

(٣) ترجم لابن الأثير كثيرون ، منهم الوزير القفطي في إنباه الرواه ٣ / ٢٥٧، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٢ / ٣٥٣ ترجمة رقم ٩١ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ، وياقوت الحموي في معجم الأدباء ١٧ / ٧١ ط بيروت .إلخ.

الكتابين من آيات القرآن الكريم بقراءاته، والغرض من ذكرها، وبيان نوع هذا الغرض، من حيث توثيقه معنى لفظٍ وارد في الحديث أو الأثر، أو معنى عامّ مستفاد من أحدهما، أو الاستشهاد على مسالة لغوية، سواء كانت صوتية أو صرفية أو نحوية، أو دلالية على مستوى اللفظ أو الأسلوب. نقول وبالله التوفيق:

**أولاً : اهتمام الزمخشري وابن الأثير بذكر آيات القرآن الكريم :**

إن المتصفح لفائق الزمخشري و نهاية ابن الأثير يرى تلألؤ كل منهما بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة والتابعين، ثم يزداد هذا التلألؤ تلألؤا بالقرآن الكريم الذي يراه القارئ لمعظم صفحات الكتابين، فقد رأيت في الفائق آيات أو أجزاء منها من سبعين سورة، هي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، والتوبة، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل، والإسراء، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والنور، والفرقان، والشعراء، والنمل، والقصص، والروم، ولقمان، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويس، والصافات، وص، والزمر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والأحقاف، ومحمد، والفتح، والحجرات، وق، والطور، والنجم، والقمر، والرحمن، والواقعة، والحديد، والحشر، والممتحنة، والملك، والحاقة، ونوح، والمزمل، والمدثر، والقيامة، والإنسان، والمرسلات، والنبا، وعبس، والانشقاق، والبروج، والطارق، والضحى، والعلق، والبينة، والفيل، والإخلاص.

ورأيت في النهاية آيات أو أجزاءً منها من إحدى وتسعين سورة[1].

**وجاء القرآن الكريم في الكتابين لأغراض، أهمها مايلي :**

١ ـ توثيق معنى لفظ ورد في حديث أو أثر . وهذا هو الغالب في الكتابين :

ومن أمثلته قول الزمخشري في حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " ما أَذِنَ الله لشيء كأَذَنه لنبي يتغنى بالقرآن "[1]: الأَذَن : الاستماع، ومنه قوله تعالى ( وأذنت لربها وحُقّت )[1].

---

(١) هي ماعدا الثلاث والعشرين الآتية : العنكبوت ، ولقمان ، والسجدة ، والقمر ، والحديد ، والمجادلة ، والقلم ، والمعارج ، والإنسان ، والنازعات ، والانفطار ، والأعلى ، والفجر ، والليل ، والتين ، والقدر ، والبينة ، والعاديات ، والقارعة ، والتكاثر ، والعصر ، والهُمزة ، وقريش.

**وقول ابن الأثير في حديث عائشة " إن امرأة سألتها عن الخضاب، فقالت: كان سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره ريحه "(٣):أرادت معنى السيادة تعظيما له، أو ملك الزوجية، من قوله تعالى: (وألفيا سيدها لدى الباب )(٤).**

**وقوله في حديث أسماء " إن أمي قدمت عليّ وهي راغمة مشركة، أفأصلها ؟ قال نعم "(٥):لمّا كان العاجز الذليل لايخلو من غضب قالوا: ترغّم، إذا غضب، وراغمه**

---

(١)أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر : فتح الباري : ج ٨ / ٦٨٥ ـ ٦٨٦ ( رقم ٥٠٢٣ ، ٥٠٢٤ )، ١٣ / ٤٦١ ( حديث رقم ٧٤٨٢ ) ط المكتبة السلفية . وأخرجه مسلم في المسافرين ١ / ٥٤٦ ( حديث رقم ٧٢٩) . وانظر الفائق ( أذن ) ١ / ٣٢ ، والمراد بالتغني تحزين القراءة وترقيقها ، ومنه الحديث " زينوا القرآن بأصواتكم ".

(٢) الآية ٢ الانشقاق.

(٣) أخرجه أبو داود في الترجل : باب في الخضاب للنساء ٤ / ٧٦ ( حديث رقم ٤١٦٤) ، والنسائي في الزينة ، باب كراهية ريح الحناء ج ٨ / ١٤٢ عن كريمة بنت همام رحمها الله أن امرأة سألت عائشة عن خضاب الحناء فقالت لابأس به ، ولكني أكرهه ، فإن حِبّي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره ريحه . وكذا أخرجه ابن الأثير في جامع الأصول ٤ / ٧٤٣ ( حديث رقم ٧٤٣ ) ، وذكره الخطابي في غريبه ٢ / ٣٤٦ ، وقال : للسيد معنيان : الرئيس ، والزوج ، وأشبه الوجهين أن تكون أرادت زوجي ؛ لأن الإضافة بالاسم الخاص يدل على معنى خاص،وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المسلمين كافة ورئيس الخلق قاطبة.

(٤) الآية ٢٥ يوسف . انظر النهاية ( سود ) ٢ / ٢ / ٤١٨ ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي. المكتبة الإسلامية . ( وأفدت من نسخة أخرى للنهاية محققة لأحمد بن محمد الخرّاط ، طباعة وزارة الأوقاف القطرية ).

(٥) الحديث بهذه الرواية أخرجه أبو داود في الزكاة، باب الصدقة على أهل الذمة ٢ / ١٢٧، ( حديث رقم ١٦٦٨ )، وانظره في ٢ / ٣٧٥ ( رقم ١٦٦٤ ) . وأخرجه البخاري في مواضع : انظر فتح الباري ١٠/ ٤٢٧ ( رقم ٥٩٧٨، ٥٩٧٩ ). وانظر ابن الأثير: جامع الأصول ١ / ٤٠٥ ـ ٤٠٦، وابن الديبع الشيباني: تيسير الوصول إلى جامع الأصول ١ / ٤٦، وذكره الخطابي في غريب الحديث ١ / ٧٠٢ـ٧٠٣، وقال: لو أراد هذا المعنى لقال مراغمة، لا راغمة، وكان أبو عمرو بن العلاء يتأول قوله تعالى: ( يجد في

إذا غاضبه، تريد أنها قدمت عليّ غضبى لإسلامي وهجرتي، متسخِّطة لأمري، أو كارهة مجيئها إليّ لولا مسيس الحاجة، وقيل هاربة من قومها،من قوله تعالى: ( يجد في الأرض مُراغما كثيرا وسعة )[١]،أي مهربا ومتّسعا "[٢].

٢ ـ تفسير لفظ ورد في تفسير صحابي أو تابعي للفظ قرآني، حيث يعد الزمخشري وابن الأثير تفسير الصحابي او التابعي أثرا:

ومن أمثلته قول الزمخشري في " حديث مجاهد: قال في تفسير قول الله تعالى: ( قل كلّ يعمل على شاكلته )[٣]:على جديلته ": هي الطريقة والناحية. وقال شمر: مارأيت تصحيفاً أشبه بالصواب مما قرأ مالك بن سليمان عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ( قل كل يعمل على شاكلته ) أي على جديلته، فإنه صحف قوله على جديلته فقال: على حدٍّ يَلِيهِ "[٤].

وقول ابن الأثير في " حديث الحسن وقد سئل عن قوله تعالى ( وجزاء سيئة سيئة مثلها )[٥]، فقال : هذا من الخُماش ": أراد الجراحات التي لاقصاص فيها[٦].

٣ ـ توثيق معنى عام مستفاد من الحديث أو الأثر:

---

الأرض مراغما كثيرا ) على غير هذا المعنى . وذكر رواية أخرى " راغبة " وقال: راغبة من الرغبة، وأصل الرغبة الحرص والسؤال، ومن هذا قول الداعي: اللهم إني أرغب إليك في كذا، أي أسألك بحرص وفاقة.

(١) الآية ١٠٠ النساء.

(٢) انظر النهاية ( رغم ) ٢ / ٢٣٩.

(٣) الآية ٨٤ الإسراء ٢٣٩.

(٤) انظر الفائق ( جدل ) ١ / ١٩٨ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط عيسى الحلبي.

(٥) الآية ٤٠ الشورى.

(٦) انظر النهاية ( خمش ) ٢ / ٨٠.

ومن أمثلته قول الزمخشري في حديث النبي صلى الله عليه وسلم " مابعث الله نبيا بعد لوط إلا في ثروة من قومه"[١]: أي في كثرة، يقال: ثرا المالُ يثرو، وثرا القوم يثرون.قال ابن مُقْبِل[٢]:

وثروة من رجال لو رأيتهمُ لَقلتَ إحدى حِراجِ الجرّ من أَقُرِ

وذلك لقول الله تعالى حكاية عن لوط: (لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد)[٣].وقال ابن الأثير: وإنما خص لوطا لقوله تعالى ( لو أن لي ... إلخ ).

٤ ـ الاستشهاد على مسألة لغوية، سواء كانت صوتية، أو صرفية، أو نحوية، أو دلالية:

فعلى المستوى الصوتي نرى ابن الأثير يستشهد بالقرآن على إبدال صوت من آخر، أو حذفه:

ويتمثل هذا الإبدال في إبدال إحدى السينات ألفا لما يعرف في الدراسة الصوتية الحديثة بالمخالفة الصوتية،يقول ابن الأثير في الحديث " أن رجلا أصاب من مغنم ذهبا، فأتِي به النبيُّ صلى الله عليه وسلم يدعو له فيه، فقال: ما شَفَّى فلانٌ أفضلُ مما شَفَّيتَ، تعلّم خمسَ آيات "[٤]: أراد ماازداد وربح بتعلمه الآيات الخمس أفضل مما استزدت، وربحت من هذا الذهب، ولعله من باب الإبدال، فإن الشّفَّ الزيادة والربح، فكأن أصله شفَّفْت، فأبدل إحدى الفاءات ياء، كقوله تعالى: ( دسّاها )[٥]، في دسّسها، و "تقضّى البازي" في تقضّض ".

---

(١) الحديث في المسند برقم ٨٣٩٢ ( ١٤ / ١٢٢ ) تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ط١، وانظر الفائق ( ثرو ) ١ / ١٦٤ ـ ١٦٥ ، والنهاية ( ثرو ) ١ / ٢١٠.

(٢) انظر ديوانه ٨٩ ، والبيت من البحر البسيط . وثروة من رجال : أي عددهم كثير ، والحراج : الآجام ، والجر : أسفل الجبل ، وأَقُرْ : اسم جبل.

(٣) الآية ٨٠ هود.

(٤)انظر النهاية ( شفا ) ٢ / ٤٨٨.

(٥) الآية ١٠ الشمس.

ويتمثل حذف الحرف في حذف ألف " ما " في قول ابن الأثير في حديث جابر " فعمَّ ذلك ؟[١]" أي لمَ فعلته، وعنة أي شيء كان ؟ وأصله " عن ما "، فسقطت ألف " ما " وأدغمت النون في الميم، كقوله تعالى: ( عمّ يتساءلون )[٢].

وفي قول ابن الأثير في حديث ابن مسعود " أن امرأته سألته أن يكسوها جلبابا، فقال : إني أخشى أن تدَعِي جِلْباب الله الذي جلْببك، قالت: وما هو ؟ قال: بيتُك، قالت: أجِنَّكَ من أصحاب محمد تقول هذا ؟[٣]:تريد " أمن أجل أنك "، فحذفت " من "، و " اللام " و " الهمزة "، وحركت الجيم بالفتح والكسر، والفتح أكثر . وللعرب في الحذف باب واسع، كقوله تعالى: ( لكنا هو الله ربي )[٤]، تقديره لكن أنا الله ربي[٥].

وعلى المستوى الصرفي :

نرى كُلاً من الزمخشري وابن الأثير يستشهدان على صيغة فعيل يوصف بها المؤنث بلا علامة تأنيث كما يوصف بها المذكر، ففي حديث حنين " إنهم سمعوا صلصلة بين السماء والأرض كإمرار الحديد على الطست الجديد "[٦]، قال الزمخشري: الطَّست يذكر ويؤنث، وقال أبو حاتم الطست مؤنثة أعجمية. والجديد يوصف به المؤنث بغير علامة، فيقال ملحفة جديد، وعند الكوفيين فعيل بمعنى مفعول، فهو في حكم قولهم

---

(١) انظر صحيح ابن حبان برقم ٦٥٢٤ ( ١٤ / ٤٥٧ ) تحقيق شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ط٢.

(٢) الآية ١ النبأ . انظر : النهاية ( عمم ) ٣ / ٣٠٣.

(٣) انظر القاضي عياض : مشارق الأنوار على صحاح الآثار١ / ٢٢ المكتبة العتيقة ودار التراث ، القاهرة ، وذكره أبو عبيد في غريب الحديث ٤ / ٧٣ ـ ٧٤ ، وقال : حدثنيه ابن مهدي ، عن سفيان ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن حكيم بن جابر ، عن عبد الله.

(٤) الآية ٣٨ الكهف.

(٥) انظر النهاية ( أجن ) ١ / ٢٧.

(٦) الحديث في المسند برقم ٢٢٤٦٧ ( ٣٧ / ١٣٥ ).

امرأة قتيل، ودابة عقير، وعند البصريين بمعنى فاعل كعزيز وذليل؛لأنك تقول : جَدَّ الثوب فهو جديد، كعزّ وذلّ . ولكن قيل في المؤنث جديد ؛ كما قال الله تعالى : ( إن رحمة الله قريب من المحسنين )[١].

وقال ابن الأثير : وصف الطست، وهي مؤنثة، بالجديد، وهو مذكر ؛ إما لأن تأنيثها غير حقيقي فأوّله على الإناء والظرف، أو لأن فعيلا يوصف به المؤنث بلا علامة تأنيث، كما يوصف به المذكر، نحو امرأة قتيل، وكف خضيب، وكقوله تعالى ( إن رحمة الله قريب من المحسنين )[٢].

ونرى الزمخشري يستشهد على اسم فعل " هاءَ " الوارد في حديث عمر رضي الله تعالى عنه " لاتشتروا الذهب بالفضة إلا يدا بيد، هاءَ وهاءَ، إني أخاف عليكم الرَّماء . وروي الإرماء "[٣]، قال : هاءَ صوت بمعنى خذ، ومنه قوله تعالى ( هاؤم اقرءوا كتابية )[٤]... أي كل واحد من متولي عقد الصرف يقول لصاحبه: هاءَ، فيتقابضان قبل تفرقهما عن المجلس ... الرَّماء : الزيادة ... يعني الربا في كون أحدهما كائنا . فأما التفاضل في بيع الذهب بالفضة فلا كلام فيه ".

كما استشهد على الفعل " انقعر " مطاوع " قعره " الوارد في الحديث: " إن رجلا انقعر عن ماله، فجاءت ابنة أخته رسول الله ﷺ تسأله الميراث، فقال: لا شيء لك، اللهم من منعْت ممنوع "[٥]، قال الزمخشري: انقعر: مطاوع قعره، إذا قلعه، قال الله تعالى: ( كأنهم أعجاز نخل منقعر )[٦]، ويقال نخل قواعر، والمعنى مات عن مال له"

---

(١) الآية ٥٦ الأعراف. انظر الفائق ( صلصل ) ٢ / ٣١٠ والطست : إناء كبير مستدير من نحاس.

(٢) انظر : النهاية ( جدد ) ١ / ٢٤٦.

(٣) انظر الفائق ( هاء ) ٤ / ٨٧.

(٤) الآية ١٩ الحاقة.

(٥) انظر الفائق( قعر )٣/ ٢١٣، ومعنى " من منعْت ممنوع " أي من حرمْته الميراث فهو محروم.

(٦) الآية ٢٠ القمر.

ونرى ابن الأثير يستشهد على تذكير " السماء " الواردة في الحديث " صلى بنا في إثر سماءٍ من الليل "[١]، قال ابن الأثير " أي إثر مطر، وسمي المطر سماء لأنه ينزل من السماء، يقال مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم : أي المطر، ومنهم من يؤنثه، وإن كان بمعنى المطر، كما يذكَّر السماء وإن كانت مؤنثة، كقوله تعالى ( السماء منفطر به )[٢].

كما نراه يستشهد على أن ( الكُبَر ) جمع الكُبرى الوارد في حديث مازن " بُعِث نبي من مضر يدعو بدين الله الكُبَر "[٣]. قال ابن الأثير: الكُبَر جمع الكبرى، ومنه قوله تعالى : ( إنها لإحدى الكُبر )[٤]، وفي الكلام مضاف محذوف تقديره بشرائع دين الله الكبر[٥].

وعلى المستوى النحوي :

اعتنى الزمخشري وابن الأثير في شرحيهما لغريب الحديث بالاستشهاد على مسائل نحوية بالقرآن الكريم، وإن كانت الأحاديث التي تضمنت هذه المسائل مختلفة بين الكتابين: الفائق والنهاية.

أما الزمخشري فنراه يستشهد على إثبات الواو بعد ميم الجمع، وحذف العائد من جملتي الصلة والصفة،وحذف الضمير الراجع من الجزاء إلى الاسم المضمن معنى الشرط، وحذف المضاف، وأكثر استعمال" سوء " على الإضافة، ووصف جماعة مالا يعقل بمؤنث،وتعدية فعل إلى مفعولين، وتوجيه إعرابي. وفيما يلي التفصيل:

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه في الطب ٤/ ٣٣٩ (حديث رقم ٣٩٠١)، ومالك في الموطأ:الاستسقاء٤.

(٢) الآية ١٨ / المزمل . انظر النهاية ( سما ) ٢ / ٤٠٦ ، وذكر صاحب الدر المصون ١٠ / ٥٢٨ أربعة أوجه للتذكير في الآية : تأويلها بمعنى السقف ، أو على النسب ، أو على أن السماء تذكر وتؤنث ، أو أنها اسم جنس ، وقال الفراء : " يؤنث ويذكر ، والتذكير قليل " انظر : المذكر والمؤنث ١٠٢ ومحقق النهاية ( الخراط ) ٥ / ٢٠١١.

(٣) أخرجه الطبراني ، انظر المعجم الكبير ( ٢٠ / ٣٣٨ ) رقم ٧٩٩ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، الموصل ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣ م ط٢.

(٤) الآية ٣٥ المدثر.

(٥) انظر النهاية ( كبر ) ٤ / ١٤٢.

ـ أما إثبات الواو بعد ميم الجمع فقد ذكر الزمخشري قول عثمان رضي الله عنه حين تنكّر له الناس: " إن هؤلاء النفر رَعاع غَثَرة، تَطأْطأت لهم تطأْطُأ الدُّلاةِ، فتَلدّدْت تلَدُّد المضطر، أرانيهمُ الحقّ إخوانا، وأراهمُنِي الباطل شيطانا إلخ "[1]. وقال: في " أراهمني " شذوذان: أحدهما أن ضمير الغائب إذا وقع متقدما على ضمير المتكلم والمخاطب فالوجه أن يُجاء بالثاني منفصلا، كقولك أعطاه إياي، وأعطاه إياك، والمجيء به متصلا ليس من كلام العرب. والثاني أن الواو حقها أن تثبت مع الضمائر، كقوله تعالى: (أَنُلْزمكموها )[2] إلا ماذكر أبو الحسن من قول بعضهم، أعطيتكمه.

ـ وأما حذف العائد من جملتي الصلة والصفة فقد ذكر الزمخشري الحديث " كفى بالرجل إثما أن يضيِّع من يقوت، أو يُقيت "[3]. وقال : قاته يقوته، وعن الفراء يَقِيته أيضا: إذا أطعمته قوتا، ورجل مَقوت ومَقيت ... وأقات عليه فهو مُقيت إذا حافظ عليه وهيمن، ومنه قوله تعالى: ( وكان الله على كل شيء مُقيتا )[4]، وحذف الجار والمجرور من الصلة هاهنا نظير حذفهما من الصفة في قوله عز وجل: ( واتقوا يوما لاتُجزَى )[5]".

---

(١) انظر الفائق ( رعع ) ٢ / ٦٦ ، قال : رجل رعاعة : أي ليس له فؤاد ولا عقل ، وهو من رَعاع الناس ، وهو من الرعرعة ، وهي اضطراب الماء على وجه الأرض ، لأن العاقل يوصف بالتثبت والتماسك ، والأحمق بضد ذلك . والغَثَرةُ : الغُبرة . والتلدد : التحيُّر.

(٢) الآية ٢٨ هود.

(٣) أخرجه أبو داود في الزكاة ٢ / ٣٨٧ ( حديث رقم ١٦٨٩) ، وأحمد في المسند ١٦٠ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، وذكره صاحب عون المعبود برواية " يُقيت " ، انظره ٥ / ٧٦ ( حديث رقم ) ١٦٩٢.

(٤) الآية ٨٥ النساء.

(٥) الآية ٤٨ البقرة . انظر الفائق ( قوت ) ٣ / ٢٣٦.

ـ كما ذكر الزمخشري حديث النبي ﷺ " يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بله مااطّلعتم عليه[١] " وقال: المعنى رأته وسمعته، فحذف لاستطالة الموصول بالصلة، ونظيره قوله تعالى:( أهذا الذي بعث الله رسولا )[٢].

ـ وأما حذف الضمير الراجع من الجزاء إلى الاسم المضمن معنى الشرط فقد ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم " الصلاة مثْنى وتشهّد في كل ركعتين وتَبْأس، وروي وتباءسُ وتَمسْكنُ وتُقْنعُ يديك، وروي: وتُقنِع رأسك، فتقول: اللهم اللهم، فمن لم يفعل ذلك فهي خِداج [٣]. وقال : الخِداجُ : مصدر خدَجت الحامل : إذا ألقت ولدها قبل وقت النتاج، فاستعير. والمعنى ذات خداج، أي ذات نقصان، فحذف المضاف. الضمير الراجع من الجزاء إلى الاسم المضمن معنى الشرط محذوف لظهوره، والتقدير: فهي منه خداج، ومثله قوله تعالى: ( ولَمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور )[٤]، أي إن ذلك منه[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ، انظر ابن حجر : فتح الباري : التفسير ( ٦٥ ) ج ٣٧٥ ، حديث رقم ٤٧٨٠ ، ( كما أخرجه مسلم في الإيمان ٣١٢ ، وفي الجنة ٥٠٢ ) ، وابن ماجه في الزهد ٢ / ١٤٤٧ ( حديث رقم ٤٣٢٨ ).

(٢) الآية ٤١ الفرقان . وانظر الفائق ( بله ) ١ / ١٢٧.

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة ، باب في صلاة النهار ، حديث رقم ١٢٩٦ ، وابن ماجه في إقامة الصلاة ، باب ما جاء في صلاة الليل ١٣٢٥ ، وأحمد في المسند ٤ / ١٦٧ ، والترمذي في الصلاة ، باب ما جاء في التخشع في الصلاة ٣٨٥ . وتبْأس : أي تذل وتخضع ذل البائس وخضوعه . والتباؤس : التفاقر ، وأن يُرِيَ من نفسه تخشُّع الفقراء إخباتا وتضرُّعا . وإقناع اليدين : أن ترفعهما مستقبلا ببطونهما وجهك . وإقناع الرأس : أن ترفعه وتقبل بطرْفك على مابين يديك .

(٤) الآية ٤٣ الشورى.

(٥) انظر الفائق ( بأس ) ١ / ٧٠.

ـ وأما حذف المضاف فقد ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم " ليس لابن آدم حق فيما سوى هذه الخصال: بيت يُكِنُّه، وثوب يواري عورته، وجِرَف الخبز،والماء[١]. وقال: الخِصال: الخلال، وليست الأشياء المذكورة بخلال، ولكن المراد إكنان بيت، ومواراة ثوب، وأكل جِرف، وشرب ماء، فحذف ذلك، كقوله تعالى: ( واسأل القرية )[٢].

ـ وأما استعمال " سوء " على الإضافة فقد ذكر حديث النبي ﷺ: " مثل الجليس الصالح مثل الداري إن لم يُحْذِك من عِطره عَلِقك من ريحه، ومثل الجليس السَّوْء كمثل الكِير إن لم يُحْرِقك من شِرار ناره علِقك من نَتْنِه[٣]. وقال: السوْء: الرداءة والفساد، فوصف به كما يوصف بالمصادر. وقال أبو زيد: سمعت بعض قيس يقول: هو رجل سَوْء، ورجلان سَوْءان، ورجال أسواء، وأكثر الاستعمال على الإضافة، تقول رجل سَوْء، وعمل سَوْء، ومنه قوله تعالى: ( ظنّ السَّوْء )[٤].

ـ وأما وصف جماعة مالايَعقل بمؤنث فقد ذكر حديث أم زَرْع، وفيه " وقالت المرأة الحادية عشرة: أم أبي زَرْع، وما أم أبي زَرْع؟ عُكومها رَداح، وبيتها فَيَاح. وروي فَسَاح ...[٥]. وقال: العُكوم: جمع عِكْم، وهو العِدل إذا كان فيه متاع. وقيل: نمَطٌ تجعل فيه المرأة ذخيرتها . والرَّداح : العظيمة الثقيلة[٦]، تكون صفة للمؤنث

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد ٩ / ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٢) الآية ٨١ يوسف . انظر الفائق ( جرف ) ١ / ٢٠٣.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤ / ٤٠٥ ، ٤٠٨ . الداري : العطار ، نسب إلى دارين ، بلد ينسب العطر إليها . الإحذاء : الإعطاء . كير الحداد : المبني من الطين.

(٤) الآية ١٢ / الفتح . انظر الفائق ( دور ) ١ / ٤٤٣.

(٥) الحديث في صحيح مسلم ٤ / ١٩٠٠ ( برقم ١٩٠٠ ).

(٦) قال ابن الأثير في النهاية ( ردح ) ٢ / ٢١٣ : وصفها بالثقل لكثرة ما فيها من المتاع والثياب.

كالرَّجاج والثَّقال، يقال جَفنة وكتيبة وامرأة رَداح، ولما كانت جماعة مالايعقل في حكم المؤنث أوْقعها صفة لها، كقوله تعالى:( لقد رأى من آيات ربه الكبرى )[١].

ـ وأما تعدية فعل إلى مفعولين فقد ذكر الزمخشري الحديث " بعث صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقاً، فانتهى إلى رجل من العرب له إبل، فجعل يَطلب في إبله، فقال له: ماتنظر؟ فقال: بنت مخاض، أوبنت لبون. فقال: إني لأكره أن أُعطِيَ الله من مالي مالا ظهرٌ فيُركب، ولا لبنٌ فيُحلب، فاخترْها ناقة[٢]. قال: الاختيار: أخذ ماهو خير، وهو يتعدّى إلى أحد مفعوليه بوساطة " مِن "، ثم يحذف ويوصل الفعل، كقوله تعالى : ( واختار موسى قومه )[٣]، أراد فاختر منها ناقة، أي من الإبل، ويجوز أن يرجع الضمير إلى المطلوبة وتنصب ناقة على الحال، ويكون المختار منه محذوفا، وذلك سائغ في غير باب حسب.

ـ ثم نرى الزمخشري يستشهد على توجيه إعرابي حين ذكر حديث " أُبَيّ رضي الله تعالى عنه: قال قيس بن عُباد[٤]: أتيت المدينة للقاء أصحاب محمد ﷺ فلم يكن أحد أحب إليَّ لقاءً من أُبيّ بن كعب، فجاء رجل فحدّث، فلم أر الرجال متحتْ أعناقَها إلى شيء متوحها إليه، فإذا الرجل أبيّ بن كعب "[٥]، وقال: أي مَدّت أعناقها، من

---

(١) الآية ١١٨ النجم . والفَيَاح : الأفيح ، وهو الواسع ، من فاح يَفيح إذا اتسع . انظرالفائق (غثث) ٤ / ٤٨ ـ ٥٣.

(٢) انظر الفائق ( خير ) ١ / ٤٠٣ . والمُصَدِّق : عامل الزكاة التي كان يستوفيها من أربابها . ويقال للفصيل إذا لقحت أمه ابن مخاض ، والأنثى بنت مخاض . وقيل مادخل في السنة الثانية وإن لم تكن أمه حاملا . وابن اللبون ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة ؛ لأن أمه ولدت غيره فصار لها لبن ، وهي بنت لبون.

(٣) الآية ١٥٥ الأعراف.

(٤) هو قيس بن عباد القيسي الضُّبعي ، أبو عبد الله البصري ، قدم المدينة في خلافة عمر رضي الله عنه . انظر المري : تهذيب الكمال ٢٤ / ٦٤.

(٥) انظر المستدرك على الصحيحين ٤ / ٥٧١ ( حديث رقم ٨٦٠٤ )، كما أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ / ٢٥٢.

متَحَ الدّلوَ[١]. وقوله: " مُتوحَها "لايخلو من أن يكون موقعه موقع قوله ( والله أنبتكم من الأرض نباتا )[٢]، أي فنبتم نباتا[٣]. فمتَحتْ مُتوحهامن قولهم متح النهارُ والليلُ إذا امتدّ، وفرسٌ متّاحٌ: ممتدّ. أو أن يكون المُتوح كالشُّكور والكُفور. وإن روي أعناقها بالرفع فوجهه ظاهر . والمعنى مثلُ امتدادها أو مثل مدّها إليه[٤].

ـ كما نراه يستشهد على توجيه إعرابي ثانٍ حين ذكر قوله صلى الله عليه وسلم " من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُبّ في أُذنيه الآنكُ يوم القيامة "[٥]، وقال: الآنُكُ الأُسْرُبُّ[٦]أعجمية ... القوم الرجال خاصة . قال الله تعالى ( لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم، ولا نساء من نساء[٧]... وهذه صفة غالبة، جمع قائم، كصاحب وصحْب، ومعنى القيام فيها مافي قوله تعالى ( الرجال قوّامون على النساء )[٨]. الواو في " وهم ": واو الحال، وهي مع الجملة التي بعدها منصوبة المحلّ، وذو الحال فاعل استمع المستترُ فيه، والذي سوّغ كينونتها حالاعنه تضمّنها ضميره.

---

(١) أي جذبها مستسقيا لها.

(٢) الآية ١٧ نوح.

(٣) أي هو مصدر غير جارٍ على فعله . ومصدر متح " متْحاً " لا " متوحا ".

(٤) انظر الفائق ( متح ) ٣/ ٣٤٣ـ ٣٤٤.

(٥) الحديث في البخاري ، انظر ابن حجر : فتح الباري : ج ١٢ / ٤٤٦ ، حديث رقم ٧٠٤٢ ، وأخرجه أحمد في المسند ٣ / ٥٠٤ ، وأبو داود في الأدب ( ٨٨ ) ، والترمذي في اللباس ( ١٩ ) ، والدارمي في الرفاق ( ٣ ) ، راجع المعجم المفهرس ( برم ).

(٦) هو الرصاص القلعي ، أو الرصاص الأبيض ، أو الأسود ، أو الخاص منه ، وقيل هو القزدير.

(٧) الآية ١١ الحجرات.

(٨) الآية ٣٤ النساء.

ويجوز أن تكون الجملة صفة للقوم، والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، وأن الكراهة حاصلة لهم لامحالة، ونظيره قوله تعالى: ( ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم )[١].

ـ كما نراه يستشهد على توجيه إعرابي ثالث حين ذكر قول عمر رضي الله تعالى عنه حين خطب الناس: " إن بيعة أبي بكر كانت فلتةً[٢]، وقى الله شرّها، إنه لابيعة إلا عن مشورة، وأيُّما رجلٍ بايع من غير مشورة فإنه لايُؤَمّرُ واحدٌ منهما تَغِرَّةَ أن يُقْتلا[٣]. وقال: التغِرَّة: مصدر غرّر به إذا ألقاه في الغَرر، والأصل خوفَ تغِرّةٍ في أن يُقتلا، أي خوف إخطارٍ بهما في القتل. وانتصاب الخوف على أنه مفعول له، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وحذف حرف الجر. ويجوز أن يكون " أن يقتلا " بدلا من " تغِرّة "، وكلاهما المضاف محذوف منه. وإن أضيفت التغِرّة إلى " أن يقتلا " فمعناه خوف تغرير قتلهما، على طريقة قوله تعالى: ( بل مكر الليل والنهار ) [٤]. والضمير في منهما للمبايع والمبايَع الذي يدل عليه الكلام، كأنه قال : وأيُّما رجل بايع رجلا.

---

(١) الآية ٢٢ / الكهف . انظر الفائق ( أنك ) ١ / ٦٠ ـ ٦١.

(٢) قال الزمخشري : فلتة : أي فُجاءة ، ؛ لأنه لم يُنتظر بها العوامّ ، وإنما ابتدرها أكابر الصحابة لعلمهم أنه ليس له منازع ولا شريك في وجوب التقدم . وقيل أي آخر ليلة من الأشهر الحرم ، وفيها كانوا يختلفون ، فيقول قوم هي من الحِلّ ، وقوم من الحُرم ، فيسارع الموتور إلى درك الثأر غير مُتَلَوّم ، فيكثر الفساد وتسفك الدماء ... وكذلك كان يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أدغل الناس من بين مُدّعٍ إمارةً وجاحدٍ زكاةً ، فلولا اعتراض أبي بكر دونها لكانت الفضيحة . ويجوز أن يراد بالفلتة الخِلسة ، يعني أن الإمارة يوم السقيفة مالت إلى تولّيها كل نفس ، ونيط بها كل طمع ، ولذلك كثر فيها التشاجر والتجاذب ، وقاموا فيها بالخطب ، ووثب غير واحد يستصوبها لرجل عشيرته ، ويُبدي ويعيد ، فما قُلِّدها أبو بكرإلا انتزاعا من الأيدي، واختلاسا من المخالب،ومثلُ هذه البيعة جديرة بأن تكون مهيِّجة للشر والفتنة ، فعصم الله من ذلك ووقى .انظر الفائق( فلت ) ٣ / ١٣٩ ـ ١٤٠ ، وانظرالنهاية(فلت).

(٣) أخرجه البخاري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس ، انظر ابن حجر : فتح الباري : ١٢ / ١٤٨ ـ ١٤٩ ( حديث رقم ٦٨٣٠ ) . كما أخرجه أحمد في مسنده ١ / ٥٥ ، ٤٥١ ( حديث رقم ٣٩١ ) . وعبد الرازق في مصنفه ٥ / ٤٤٥ في قصة طويلة . وساقه ابن الأثير في النهاية ( غرر ) / برواية " أيما رجل بايع آخر فإنه لايؤمّر إلخ ".

(٤) الآية ٣٣ سبأ.

والمعنى أن البيعة حقها أن تقع صادرة عن الشورى، فإذا استبدّ رجلان دون الجماعة بمبايعة أحدهما الآخر فذلك تظاهر منهما بشقّ العصا، وإطراح للبناء على أساس مايجب أن تكون عليه البيعة، فإن عُقِد لأحدٍ فلا يكوننّ المعقودُ له واحداً منهما، وليكونا معزولين من الطائفة التي يُتّفق على تمييز الإمام منها؛ لأنه إن عُقِد لواحدٍ منهما وهما قد ارتكبا تلك الفَعلة المضْغِنة للجماعة من التهاون بأمرها والاستغناء عن رأيها لم يُؤمن ان يقتلوهما.

وأما ابن الأثير فنراه يستشهد على تمييزٍ محوّلٍ عن الفاعل، وزيادة حرفي الباء وهاء السكت ولفظ " اسم "، وإبدال اسم من آخر بإعادة العامل، وإضافة الشيء إلى نفسه لاختلاف اللفظين، وحذف كل من المضاف والمضاف إليه، والألف واللام بدل من الإضافة، ومعاني حروف الجر " من "، والباء، واللام.وفيما يلي التفصيل:

ـ أما التمييزٍ المحوّلٍ عن الفاعل فقد ذكر حديث عمر رضي الله عنه " أنه أراد أن يدخل الشام وهو يستعر طاعونا ". وقال: " استعار النارَ لشدة الطاعون، يريد كثرته وشدة تأثيره، وكذلك يقال في كل أمر شديد. و" طاعونا " منصوب على التمييز، كقوله [ تعالى ] ( واشتعل الرأس شيبا )[1].

ـ وأما زيادة الباء، وإبدال اسم من آخر بإعادة العامل فقد ذكر حديث النبي ﷺ " سألت ربي ألاّ يهلك أمتي بسنةٍ بعامة "[2]. وقال:" أي بقحط عامّ يعمّ جميعهم. والباء في " بعامّة" زائدة زيادتها في قوله تعالى: ( ومن يرد فيه بإلحاد بظلم )[3]. ويجوز ألاّ تكون زائدة، ويكون قد أبدل " عامّة " من " سنة " بإعادة العامل، تقول: مررت بأخيك بعمرو، ومنه قوله تعالى: ( قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم )[4].

---

(١) الآية ٤ مريم . انظر النهاتية ( سعر ) ٢ / ٣٦٨.

(٢) رواه مسلم ٤ / ٢٢١٥ ( حديث رقم ٢٨٨٩ ) ، وأحمد في مسنده ٥ / ٢٧٨.

(٣) الآية ٢٥ / الحج.

(٤) الآية ٧٥ الأعراف . انظر النهاية ( عمم ) ٣/ ٣٠٢.

ـ وأما زيادة هاء السكت فقد ذكر الحديث " قلت يارسول الله، هل من ساعة أقرب إلى الله؟ قال: نعم، جوف الليل الآخِر، فصلِّ حتى تُصبح، ثم أَنْهِهْ حتى تطلعَ الشمس "[١]. قال: " قوله " أَنهِهْ " بمعنى انتهِ. وقد أنهى الرجلُ إذا انتهى، فإذا أمرت قلت: أَنْهِهْ، فتزيد الهاء للسكت، كقوله تعالى: ( فبهداهم اقتدهْ )[٢]، فأجرى الوصل مُجرى الوقف.

ـ وأما زيادة " اسم " فقد ذكر الحديث " إنه لمّا نزل ( فسبح باسم ربك العظيم )[٣]قال [ ﷺ ]: اجعلوها في ركوعكم "[٤]. قال ابن الأثير: الاسم ههنا صلة، بدليل أنه كان يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم وبحمده، فحُذِف الاسم. وهذا على قول من زعم أن الاسم هو المسمّى. ومن قال إنه غيره لم يجعله صلة[٥].

ـ وأما إضافة الشيء إلى نفسه لاختلاف اللفظين فقد قال ابن الأثير : " في حديث أبي قتادة: فضربته على حبْل عاتقه[٦]": هو موضع الرداء من العنق، وقيل هو مابين العنق والمنكِب، وقيل هو عرق أو عصب هناك. ومنه قوله تعالى ( ونحن أقرب إليه من حبل الوريد )[٧]، الوريد عرق في العنق، وهو الحبل أيضا، فأضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين[٨].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٨ / ٢٣٤ ( حديث رقم ١٧٠١٨).

(٢) الآية ٩٠ الأنعام . انظر النهاية ( نها ) ٥ / ١٣٩.

(٣) الآية ٩٦ الواقعة.

(٤) الحديث في سنن أبي داود ٢ / ٦ ( رقم ٨٦٥ ).

(٥) انظر النهاية ( سما ) ٢ / ٤٠٦.

(٦) أخرجه البخاري في مواضع عدة ، انظر فتح الباري ٦ / ٢٨٤ ( رقم ٣١٤٢ ).

(٧) الآية ١٦ ق.

(٨) انظر النهاية ( حبل ) ١ / ٣٣٣.

ـ وأما حذف المضاف فقد قال في حديث أبي رزين " قال : يارسول الله أين كان ربنا عز وجلّ قبل أن يخلق خلقه ؟ فقال كان في عَماءٍ، تحته هواءٌ وفوقه هواءٌ "[١]: العماء ـ بالفتح والمدّ ـ السحاب، قال أبو عبيد: لايُدرى كيف كان ذلك العماء[٢]. وفي رواية " كان في عما " بالقصر، ومعناه ليس معه شيء. وقيل هو كل أمر لاتدركه عقول بني آدم، ولا يبلغ كنهَه الوصفُ والفِطنُ. ولا بدّ في قوله " أين كان ربنا " من مضاف محذوف، كما حُذف في قوله تعالى: ( هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله )[٣]ونحوه، فيكون التقدير: أين كان عرش ربنا؟، ويدل عليه قوله تعالى: ( وكان عرشه على الماء )[٤]، قال الأزهري: نحن نؤمن به ولا نكيفه بصفة، أي نجري اللفظ على ماجاء عليه من غير تأويل[٥].

ـ وقال في الحديث " ولكنَّ الكِبْرَ من بَطِر الحقَّ "[٦]: هذا على الحذف، أي ولكنْ ذو الكبْرِ مَن بَطِر الحقَّ، أو ولكنَّ الكبرَ كِبْرُ مَن بطِر الحقَّ، كقوله تعالى: ( ولكنّ البرَّ مَن اتّقى )[٧].

ـ وأما حذف المضاف إليه فقد قال ابن الأثير في حديث زيد بن أرقم " أن رسول الله ﷺ خطبهم فقال: أما بعد "[١]: قد تكررت هذه اللفظة في الحديث، وتقدير

---

(١) أخرجه الترمذي في باب : ومن سورة هود ( رقم ٣٢١٥ ) ، وابن ماجه ص ٢٧ ( رقم ١٨٢ ) ، . وأحمد في مسنده ٤ / ١١ ، ١٢ . وعند الجميع " ماتحته هواء ، وما فوقه هواء ، ثم خلق عرشه على الماء ".

(٢) انظر غريب الحديث ٢ / ٨.

(٣) الآية ٢١٠ البقرة ، والتقدير ـ كما قال أبو حيان " أمْر الله " بمعنى ما يفعله الله بهم ، لا الأمر الذي مقابله النهي ، ويبينه قوله بعد ( وقضي الأمر ) . انظر البحر المحيط ٢ / ١٢٤ ـ ١٢٥ " دار الفكر.

(٤) الآية ٧ هود.

(٥) انظر النهاية ( عما ) ٣ / ٣٢٤.

(٦)) أخرجه الترمذي في بر الوالدين عن عبد الله بن مسعود ص ٤٦٢ ( رقم ١٩٩٩ ) ، وأبو داود في باب ما جاء في الكبر ، وابو حبان في صحيحه في ذكر ما يستحب للمرء إلخ.

(٧) الآية ١٨٩ البقرة . انظر النهاية ( كبر ) ٤ / ١٤٣.

الكلامفيها: أما بعد حمد الله تعالى فكذا وكذا. و" بعدُ " من ظروف المكان التي بابها الإضافة، فإذا قُطِعتْ عنها وحُذِف المضاف إليه بُنيتْ على الضم كقبْلُ، ومنه قوله تعالى: ( لله الأمر من قبل ومن بعد )[٢]، أي من قبل الأشياء ومن بعدها[٣].

ـ وأما استشهاد ابن الأثير على أن الألف واللام قد تأتي بدلا من الإضافة فقد ذكر حديث أم سلمة " أن امراةً كانت تُهَراق الدمَ "[٤]، وقال: كذا جاء على مالم يُسمّ فاعله. والدمَّ منصوب، أي تهراقُ هي الدمَ، وهو منصوب على التمييز وإن كان معرفة، وله نظائر، أو أن يكون قد أُجرِيَ تُهَراقَ مجرى نُفِست المرأة غلاما، ونُتِجِ الفرس مهراً. ويجوز رفع الدم على تقدير تُهْراقُ دماؤها، وتكون الألف واللام بدلاً من الإضافة، كقوله تعالى: ( أو يعفوَ الذي بيده عقدة النكاح )[٥]، أي عقدة نكاحه أو نكاحها.

وعلى المستوى الدلالي :

نرى الزمخشري وابن الأثير يستشهدان على أن الواحد قد يقع موقع الجمع في أثناء شرحهما لحديث ابن عمر رضي الله عنهما " أنه رأى قوما في الحج لهم هيئة أنكرها فقال : هؤلاء الداجُّ، وليسوا بالحاجّ "[٦]. الداجّ: أتباع الحاجّ، كالخدم والأجراء والجمّالين؛ لأنهم يدِجون على الأرض، أي يدِبون ويسعون في السير . وهذان اللفظان وإن كانا مفردين فالمراد بهما الجمع، كقوله تعالى: (مستكبرين به سامرا تهجرون)[٧].

---

(١) أخرجه البخاري عن ابن عباس ، انظر : فتح الباري ٢ / ٤٦٨. كما أخرجه أحمد ٤ / ٤.

(٢) الآية ٤ الروم.

(٣) انظر النهاية ( بعد ) ١ / ١٤٠.

(٤) رواه أبو داود ١ / ٢٨٣ ( رقم ٢٧٨ ) . وأحمد في المسند ٦ / ٣٢٠ .

(٥) الآية ٢٣٧ البقرة . انظر النهاية ( هرق ) ٥ / ٢٦٠.

(٦) انظر الفائق ( دجج ) ٢ / ٤١٢ ، والنهاية ( دجج ) ٢ / ١٠١.

(٧) الآية ٦٧ المؤمنون.

وفي هذه المسألة نفسها يقول ابن الأثير في حديث عمر رضي الله عنه " أن رجلا ناداه فقال: هل لك في رجل رثدْت حاجتَه، وطال انتظارُه "[١]: أي دافعتَ بحوائجه، ومطلْته، من قولك: رثدت المتاعَ إذا وضعت بعضه فوق بعض، وأراد بحاجته حوائجه، فأوقع المفرد موقع الجمع، كقوله تعالى: (فاعترفوا بذنبهم)[٢]،أي بذنوبهم".

كما نرى ابن الأثير يستشهد على أن صيغة الجمع " أفعال " قد تأتي للواحد، نقلا عن الزمخشري وذلك في أثناء شرح كل منهما لحديث وفد مَذْ حِج " في مفازة تُضْحِي أعلامُها قامساً، ويمسي سرابُها طامساً "[٣]. قال ابن الأثير: أي تبدو جبالها للعين ثم تغيب، وأراد كل علم من أعلامها، ولذلك أفرد الوصف ولم يجمعه. الزمخشري: ذكر سيبويه أن أفعالا تكون للواحد، وأن بعض العرب يقول: هو الأنعام، واستشهد بقوله تعالى: ( وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه ) [٤]، وعليه جاء قوله " تُضْحِي أعلامها قامسا "، وهو هاهنا فاعل بمعنى مفعول " [٥].

كما نراهما يتعرضان لدلالات بعض الألفاظ المنتمية إلى بعض الصيغ الصرفية:

ـ فقد تعرّض الزمخشري للفعل " نُحايص " في حديث مُطَرِّف رحمه الله وقد خرج زمن الطاعون، فقيل له في ذلك، فقال: هو الموت نُحايصه، ولا بدّ منه [٦]،

---

(١) انظر النهاية ( رثد ) ٢ / ١٩٦.

(٢) الآية ١١ الملك.

(٣) انظر النهاية ( قمس ) ٤ / ١٠٧.

(٤) الآية ٦٦ النحل.

(٥) انظر الفائق ٢ / ٣٨٥ ـ ٣٨٧ ، والكتاب لسيبويه ٣ / ٢٣٠ وقد ذكر هذا في باب ماكان على مثال مفاعل ومفاعيل . وقال الزمخشري: قمس وغمس أخوان ، والمراد انغماس الأعلام في السراب . وقال الزمخشري : طمس يتعدى ولا يتعدى ، أي يطمس سرابها القيزان . والقوز : جانب من الرمل صغير مستدير . وقال في اللسان : يمسي سرابها طامسا : أي يذهب مرة ويجيء أخرى.

(٦) انظر الفائق ( حيص ) ١ / ٣٤٤ . وفيه " خرج من الطاعون " وما أثبته من النهاية(حيص).

وقال: المحايصة: مفاعلة من حاص عنه، وليس المعنى أن كل واحد من الموت والرجل يَحِيص عن صاحبه، وإنما ةالمعنى أن الرجل في فَرْط حرصه على الحياص عن الموت كأنه يباريه ويغالبه؛ لأن من شأن المغالِب المباري ان يحرص على فعله ويحتشد فيه، فيئول معنى نحايصه غلى قولك: يحرص على الفرار منه، وإخراجه على هذه الزنة لهذا الغرض؛ لكونها موضوعة لإفادة المباراة والمغالبة في الفعل. ومنه قوله تعالى: ( يخادعون الله وهو خادعهم )[١].

ـ كما تعرض ابن الأثير إلى انتقال اللفظ من دلالته على المصدرية إلى الدلالة على الاسمية، فقد قال: تكرر ذكر " الصيد " في الحديث اسما وفعلا ومصدرا، يقال: صاد يصيد صيدا، فهو، صائد، وصيْد. وقد يقع الصيد على المَصيد نفسه، تسمية بالمصدر، كقوله تعالى(لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم)[٢].

قيل : لايقال للشيء صيد حتى يكون ممتنعا، حلالا، لامالك له " [٣].

ـ كما تعرض كل من الزمخشري وابن الأثير إلى انتقال اللفظ المشتق من دلالته على اسم الفاعل إلى الدلالة على اسم المفعول :

فقد ذكر الزمخشري حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " خير الأمور عوازمها "[٤]، وقال: يعني ماوكّدت عزمك عليه، ووفيت بعهد الله فيه. أو فرائضها التي عزم الله عليك بفعلها. والمعنى ذوات عزمها، كقوله تعالى: ( في عيشة راضية )[٥]، أي التي فيها عزم، والتي فيها رضا،؛ لأن المعزوم عليه والمرضيَّ عنه ذو عزم وذو رضا، أي يصحبه العزم والرضا[٦].

---

(١) الآية ٩ البقرة.

(٢) الآية ٩٥ المائدة.

(٣) انظر النهاية ( صيد ) ٣ / ٦٥.

(٤) انظر كنز العمال : ١٥ / ٣٨٧ ( حديث رقم ٤٣٥٨٧ ).

(٥) الآية ٢١ الحاقة ، ٧ / القارعة.

(٦) انظر الفائق ( عزم ) ٢ / ٤٢٥.

كما قال ابن الأثير في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " أنه نهى عن الغارِفة ": الغَرْف : أن تُقطعَ ناصيةُ المرأةِ، ثم تُسوّى على وسَط جَبينِها . وغرَف شعَره:إذا جزَّه، فمعنى الغارفة أنها فاعلة بمعنى مفعولة كالراغِية، كـ ( عيشة راضية )، بمعنى مرضيّة، وهي التي تقطعها المرأة وتسوّيها. وقيل هي مصدر بمعنى الغرْف، كالراغية، والثاغية، واللاغية. ومنه قوله تعالى:( لاتسمع فيها لاغية )[١]، أي لغو. وقال الخطابي: يريد بالغارفة التي تجزّ ناصيتها عند المصيبة[٢].

وانتقال اللفظ المشتق من دلالته على اسم الفاعل إلى الدلالة على اسم المفعول يدخل فيما سماه البلاغيون بالمجاز العقلي . ويدخل فيما سماه اللغويون بالتضاد .

ـ ويدخل في المجاز العقلي أيضا قول ابن الأثير في الحديث الذي جاء فيه ذكر " قسطنطينية الزانية "[٣]: يريد الزاني أهلها، كقوله تعالى: ( وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة )[٤]، أي ظالمة الأهل .

ـ كما تعرض ابن الأثير للفظ " ظنّ " الذي انتقلت دلالته من معنى إلى آخر مضاد له، في حديث عبيدة السلماني رحمه الله تعالى: قال ابن سيرين: سألته عن قوله تعالى: ( أولامستم النساء )[٥]، فأشار بيده فظننت ماقال[٦]. أي: علمت، من قوله تعالى: ( وظنوا أنه واقع بهم )[٧].

---

(١) الآية ١١ / الغاشية . الراغية : الرُّغاء ، وهو صوت الإبل . والثاغية : الثُّغاء : وهو صوت الشاة.

(٢) انظر : الخطابي : غريب الحديث : ١ / ٧١٨ ، والنهاية ( غرف ) ٣ / ٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٣) انظر النهاية ( زنا ) ٢ / ٣١٧.

(٤) الآية ١١ الأنبياء.

(٥) الآية ٤٣ النساء.

(٦) انظر الفائق ( ظنن ) ٢ / ٣٨٠.

(٧) الآية ١٧١ الأعراف.

ـ كما تعرض كل من الزمخشري وابن الأثير لألفاظ انتقلت دلالتها من معنى غير مراد إلى آخرمراد مع وجود علاقة تربط بينهما، قد تكون المشابهة أوغيرها، وهو مايسمى عند البلاغيين بالاستعارة والمجاز المرسل:فقد وقف الزمخشري عند لفظ الريش الوارد في حديث عليّ رضي الله عنه أنه " اشترى قميصا بثلاثة دراهم وقال : الحمد لله الذي هذا من رِياشه "[١]، وقال: الرِّيش: الكُسوة التي يُتزيّى بها، استعير من ريش الطائر لأنه كُسوته وزينته،قال الله تعالى: ( لباسا يواري سوءاتكم وريشا)[٢].

والرِّياش يحتمل وجهين: أن يكون جمع ريش، وأن يكون مفردا مبنيا من لفظه على فِعال كلِباس.

كما وقف عند لفظ البصر الوارد في حديث عمر رضي الله عنه " إن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه سأله عن الشعراء فقال: امرؤ القيس سابقُهم، خَسَفَ لهم عينَ الشعر، فافتقر عن معانٍ عُور أصحَّ بصرٍ[٣]، قال الزمخشري:أي أنبطها وأغزرها، من قولهم خَسَفَ البئرَ: إذا حفرها في حجارةٍ فنبعتْ بماءٍ كثير، فهي خسيف. يريد انه أول من فَتَقَ صناعةَ الشعر، وفنّن معانيها، وكثّرها وقصّدها، فاحتذى الشعراء على مثاله. افتقر: افتعل من الفقير، وهو فم القناة، بمعنى شقّ وفتح، جعل للشعر بصراً صحيحاً، وجعل ذلك البصر مفتوحاً باصراً، وهو في المعنى لمتأمله والناظر فيه كقوله تعالى: ( وآتينا ثمود الناقة مبصرة )[٤]. وكذلك وصفه المعاني بالعُور في الحقيقة لمتأملها، يعني أنها لغموضها وخفائها عليه كأنه أعمى عنها. والمراد أن امرأ القيس قد أوضح معانيَ الشعر، ولخّصها، وكشف عنها الحُجُب، وجانبَ التعْويصَ والتعقيد.

---

(١) انظر كنز العمال ١٥ / ١٩٧ ( حديث رقم ٤١٨٤١ ) ، والفائق ( ريش ) ٢ / ٩٨.

(٢) الآية ٢٦ الأعراف.

(٣) انظر الفائق ( خسف ) ١ / ٣٦٨ ـ ٣٦٩.

(٤) الآية ٥٩ الإسراء.

ومحلُّ " عن " وما دخل عليه النصب على الحال، كأنه قال: فتَحَ للشعر أصحّ بصرٍ، مجاوزاً للمعاني العُور، متخطياً لها[١].

وكذلك وقف ابن الأثير عند لفظ السبب الوارد في حديثه صلى الله عليه وسلم " كل سبب ونسبٍ ينقطع إلاّ سببي ونسَبي "[٢]. وقال: النسب بالولادة، والسبب بالزواج، وأصله من السبَب، وهو الحبل الذي يُتَوصّل به إلى الماء، ثم استعير لكل مايُتوصل به إلى شيء، كقوله تعالى: ( وتقطّعت بهم الأسباب )[٣]، أي الوُصَل والمَودّات[٤].

وقد شرح الزمخشري قوله ﷺ عندما قرأ عليه أُبيُّ بن كعب فاتحة الكتاب فقال : " والذي نفسي بيده ماأُنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في القرآن مثلُها، إنها السبع من المثاني والقرآنُ العظيم الذي أعطيت "[٥]. قال الزمخشري: المثاني هي السبع. و" مِن " للتبيين، مثلها في قوله تعالى:( فاجتنبوا الرجس من الأوثان )[١]،

---

(١) شرح ابن قتيبة قول عمر رضي الله عنه " عن معانٍ عُور " قال : يريد أن امرأ القيس من اليمن ، وأن اليمن ليست لهم فصاحة نزار فجعلهم معاني عور ، يقول : فتح امرؤ القيس من معانٍ عور أصحّ بصراً . انظر غريب الحديث ٢ / ٨٠٧ ، والشعر والشعراء ١ / ٦٨ . ولم يرْتضِ الخطّابي قول ابن قتيبة ، ورأى أن المعاني العور ههنا غموض المعاني ودقتها ، وأراد عمر أنه قد غاص على معانٍ خفية على الناس فكشفها لهم ، وضرب العور مثلاً لغموضها وخفائها ، وصحة البصر مثلاً في ظهورها وبيانها ، وذلك كما أجمعت عليه الرواة من سبْقِهِ إلى معانٍ كثيرة لم يحتذِ فيها على مثالٍ متقدّم ، كابتدائه في القصيدة بالتشبيب والبكاء في الأطلال والتشبيهات المصيبة ، والمعاني المقْتضبة التي تفرّد بها فتبَعه الشعراء عليها وامتثلوا رسمه فيها . انظر غريب الحديث للخطّابي ٢ / ٨١ ، ٨٢ . وقد نهج الزمخشري نهج الخطابي .

(٢) رواه أحمد في مسنده بلفظ " إن الأسباب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري " ج٤ / ٣٢٣ ، ٣٣٢ الطبعة الأولى ، ج ٣١ / ٢٠٧ حديث رقم ١٨٩٠٧ تحقيق الأرناؤوط.

(٣) الآية ١٦٦ البقرة.

(٤) انظر النهاية ( سبب ) ٢ / ٣٢٩.

(٥) الحديث في البخاري : الفتح ٨ / ٧ ( رقم ٤٤٧٤ ).

(١) الآية ٣٠ الحج.

كأنه قيل: إنها للآيات السبع التي هي المثاني، وإنما سُمِّيت مثاني لإنها تُثنَّى، أي تُكرّر في قوْمات الصلاة[١]، الواحد مثْنى، ويجوز أن يكون مَثْناة. وقوله " والقرآن العظيم ": إطلاق لاسم القرآن على بعضه، ومثله قوله تعالى: (بما أوحينا إليك هذا القرآن )[٢] فيمن جعل المراد بالقصص سورة يوسف. وقوله "ولا في القرآن مثلها ": تفضيل لآيات الفاتحة على سائر آي القرآن[٣].

ووقف ابن الأثير عند لفظ الخمر الوارد في حديث سمرة " أنه باع خمراً، فقال عمر : قاتل الله سمُرة " الحديث(٤). قال: قال الخطابي[٥]: إنما باع عصيرا ممّن يتخذه خمرا، فسماه باسم مايؤول إليه مجازا، كقوله تعالى ( إني أراني أعصر خمرا )[٦] فنقَمَ عليه عمر ذلك لأنه مكروه أو غير جائز. فأما أن يكون سمرة باع خمراً فلا؛ لأنه لايجهل تحريمه مع اشتهاره.

ـ كما تعرض كل من الزمخشري وابن الأثير لتحديد دلالة بعض حروف الجر:

فرأى كل منهما أن " مِن " للتبيين في قول يزيد بن شيبان : " أتانا بن مِرْبع الأنصاري ونحن وقوف بالموقف بمكانٍ يباعده عمرو، فقال أنا رسولُ رسولِ الله إليكم، اثبتوا على مشاعركم هذه، فإنكم على إرثٍ من إرثٍ إبراهيم[١]، واستشهدا

---

(١) قال ابن الأثير : وقيل المثاني : السور التي تَقْصِر عن المئين ، وتزيد على المفصل ، كأن المئين جُعِلتْ مبادئ ، والتي تليها مثاني . انظر النهاية ( ثنا ) ١ / ٢٢٥.

(٢) الآية ٣ يوسف.

(٣) انظر الفائق ( ثنى ) ١ / ١٧٧.

(٤) رواه مسلم ٣ / ١٢٠٧ ( رقم ١٥٨٢ ) ، وأحمد ١ / ٢٥.

(٥) انظر : غريب الحديث ٢ / ٨٤ ـ ٨٥ ، والنهاية ( خمر ) ٢ / ٧٨.

(٦) الآية ٣٦ يوسف.

(١) الحديث في أبي داوود ٢ / ٤٩٥ ( رقم ١٩١٤ ) . انظر الفائق ( إرث ) ١ / ٣٣ ، والنهاية ( أرث ) ١ / ٣٧ الإرث : الميراث . المشاعر: مواضع النسُك ؛ لأنها معالم الحج.

عليها بقوله تعالى: ( فاجتنبوا الرجس من الأوثان)[١]. مِن " للتبيين، مثلها في قوله تعالى: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان )، كأنه قيل: إنها للآيات السبع التي هي المثاني إلخ.

كما رآها الزمخشري للبدل في الحديث الآتي " كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة: أن اكتب إليّ بشيء سمعته من رسول الله ﷺ. فكتب إليه: إني سمعته يقول إذا انصرف من الصلاة: لاإله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم لامانعَ لِما أعطيت، ولا معطيَ لما منعت، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ "[٢]، قال الزمخشري: " منك " من قولهم: هذا من ذاك، أي بدل ذاك ...ومنه قوله تعالى : ( ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون )[٣]، والمعنى أن المحظوظ لاينفعه حظُّه بذلك، أي بدل طاعتك وعبادتك. ويجوز أن تكون " من " على أصل معناها، أعني الابتداء، وتتعلق إما بـ " ينفع "، وإما بـ " الجَدّ ". والمعنى المجدود لاينفعه منك الجد الذي منحتَه، وإنما ينفعه أن تمنحه اللطف والتوفيق في الطاعة، أو لاينفع مَن جدُّه منك جدُّه، وإنما ينفعه التوفيق منك[٤].

كما رآها ابن الأثير للبدل أيضا في الحديث " أنه رأى بعبد الرحمن وضراً من صُفرة، فقال: مَهْيم؟ فقال: تزوّجت امرأةً من الأنصار، فقال: ماسُقتَ منها؟[٥]. قال ابن الأثير :أي ماأمهرتها بدل بُضْعها ؟ قيل للمهر سَوْقٌ لأن العرب كانوا إذا تزوّجوا ساقوا الإبل والغنم مهراً، لأنها كانت الغالب على أموالهم، ثم وضع السَّوْقَ موضع

---

(١) الآية ٣٠ الحج.

(٢) أخرجه البخاري ، انظر : فتح الباري ٢ / ٣٧٨( حديث رقم ٨٤٤) ، ١٣ / ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ، (حديث رقم ٧٢٩٢). وأخرجه مسلم ١ / ٤١٥ (رقم ٣٩٥).

(٣) الآية ٦٠ الزخرف.

(٤) انظر الفائق ( جد ) ١ / ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٥) أخرجه البخاري ، انظر فتح الباري ٧ / ١٤٠ ( برقم ٣٧٨١ ).

المهر وإن لم يكن إبلا وغنما . وقولها " منها " بمعنى البدل، كقوله تعالى ( ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض )[١]، أي بدلكم[٢].

ـ ووقف الزمخشري عند حرف الجر " في "، ورآه بمعنى " على " في حديث عمر رضي الله عنه، حيث قال مالك بن أوسٍ بن الحدثان: بينما أنا جالس في أهلي حين مَتَعَ النهارُ إذا رسول عمر، فانطلقتُ إليه حتى أدخل عليه، وإذا هو جالس في رُمال سرير[٣]. قال الزمخشري: أي تعالى النهارُ، من الشيء الماتع، وهو الطويل ... " حتى أدخل " يجوز رفعه ونصبه، يقال: سرت حتى أدخلُها، حكاية للحال الماضية، و " حتى أدخلَها " بالنصب بإضمار أَنْ. والرُّمال: الحصير المرمول في وجه السرير . " في " ههنا كالتي في قوله تعالى: ( في جذوع النخل )[٤].

ـ ووقف ابن الأثير عند حرف الجر ( الباء ) وعقد له باباً عنوانه " باب الباء المفردة " وصدّره بقوله: " أكثر ماترد الباء بمعنى الإلصاق لِما ذُكِر قِبَلها من اسمٍ أو فعلٍ بما انضمّت إليه، وقد ترد بمعنى الملابسة والمخالطة، وبمعنى: من أجْل، وبمعنى: في، ومن، وعن، ومع، وبمعنى الحال، والعوض، وزائدة. وكل هذه الأقسام قد جاءت في الحديث، وتُعْرف بسياق اللفظ الواردة فيه".

ورآه للالتباس والمخالطة أو التعدية في الحديث " فسبح بحمد ربك "[٥]. قال: الباء ههنا للالتباس والمخالطة كقوله تعالى ( تُنبت بالدهن )[٦]، أي مختلطة وملتبسة

---

(١) الآية ٦٠ الزخرف.

(٢) انظر: النهاية ( سوق ) ٢ / ٤٢٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦ / ٢٢٧ ( رقم ٣٠٩٤ ).

(٤) الآية ٧١ طه.

(٥) الآية ٣ العصر.

(٦) الآية ٢٠ المؤمنون.

به، ومعناه اجعل تسبيح الله مختلطاً وملتبساً بحمده. وقيل الباء للتعدية، كما يقال: اذهب به، أي خذه معك، كأنه قال: سبِّحْ ربك مع حمدك إياه[١].

ـ كما وقف ابن الأثير عند حرف الجر ( اللام ) ورآه بمعنى العاقبة في الحديث " أنه بعث سَرِيّة، فبعثوا حرام بن مِلْحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى بني سُليم، فانتحى له عامر بن الطفيل فقتله، فلما بلغ النبيَّ ﷺ قتْلُه، قال: أُعنِقَ ليموت " [٢]قال بن الأثير: أي إن المنية أسرعت به وساقته إلى مصرعه، واللام لام العاقبة، مثلها في قوله تعالى: ( ليكون لهم عدواً وحزنا )[٣].

ـ ووقف كل من الزمخشري وابن الأثير على بعض الأساليب التي لها دلالة بلاغية، كخروج الكلام على مقتضى الظاهر، والمشاكلة، والتعريض:

فقد وقف العالمان الجليلان على " فَلْيترامَ بي " في حديث حذيفة " لمّا أُتِيَ بكفَنه قال: إنْ يُصِبْ أخوكم خيراً فعسى، وإلا فَلْيترامَ بي رجواها إلى يوم القيامة "[٤].

وفسرا الأسلوب الأخير على النحو الآتي :

رجَواها: اي جانبا الحفرة، من قولهم فلان يُرمى به الرجَوان: إذا استُذلّ وحُمِل على خطةٍ لايكون معها ثبات ولا قرار . والضمير راجع إلى غير مذكور، يريد به الحفرة.

---

(١) انظر النهاية ( باب الباء المفردة ) ١ / ١٧٧.

(٢) الضمير يعود إلى المنذر بن عمرو . والحديث في الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ / ٥٢ ط دار صادر ، ونصه في الفائق ( نحى ) ٣ / ٤١١ ـ ٤١٢ هكذا : " بعثَ سرية قِبَل أرض بني سليم ، واميرهم المنذر بن عمرو أخو بني ساعدة ، فلما كان ببعض الطريق بعثوا حَرام بن مِلحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاما أتاهم انتحى له عامر بن الطفيل فقتله ، ثم قتل المنذر ، فقال رسول الله صلى الله عيه وآله وسلم : أَعْنَقَ ليموت ، وتخلّف منهم ثلاثة ، فهم يتبعون السرية ، فإذا الطريق يرميهم بالعلَق .وهم النَّدِيّ " . انتحى له : عرض له . أعنق : من العَنَق ، وهو سير فسيح ، أي ساقته المنية إلى مصرعه . العلَق : الدم الجامد قبل أن ييبس . النديّ : القوم المجتمعون.

(٣) الآية ٨ القصص . وانظر النهاية ( عنق ) ٣ / ٣١٠.

(٤) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء عن قيس عن ابن مسعود ١ / ٢٨٢ بيروت ١٤٠٥هـ ط٤.

والرجا مقصور: ناحية الموضع، وتثنيته رجَوان، كعصا وعصَوان، وجمعه أرجاء. اراد عذاب القبر، أي وإلا كنت في حفرتي على حالٍ شديدةٍ لاقرار لي معها، ولا طمأنينة ولا خروج. قوله: " وإلا فلْيترامَ بي رجَواها " أخرجه مُخرج الأمر، والمراد به الخبر، أي وإلا ترامى بي رجَواها، نظير قوله عزّ من قائل ( قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا )[١]، أي مد له الرحمن[٢].

ووقف ابن الأثير على الحديث " إذا لم تستحْي فاصنع ماشئت "[٣]، وقال: يقال: استحيا يستحيِي، واستحَى يستحِي، والأول أعلَى وأكثر، وله تأويلان: أحدهما ظاهر وهو المشهور: أي إذا لم تستحْي من العيب ولم تخش العار مما تفعله فافعلْ ماتحدثك به نفسُك من أغراضها حسَناً كانَ أو قبيحا. ولفظه الأمر ومعناه توبيخ وتهديد، كقوله تعالى: ( اعملوا ماشئتم )[٤]، وفيه إشعار بأن الذي يردعُ الإنسان عن مواقعة السوء هو الحياء، فإذا انخلع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة وتعاطِي كل سيئة. والثاني: أن يُحمل الأمرُ على بابه، يقول: إذا كنت في فعلك آمنا أن تستحييَ منه لجرْيك فيه على سَنن الصواب، وليس من الأفعال التي يُستحيا منها، فاصنع منها ماشئت [٥].

وقد سمى البلاغيون هذا الانتقال الدلالي بالخروج عن مقتضى الظاهر، واستعانوا بالقرائن للكشف عن سبب العدول عن مقتضى ظاهر الحال، مثل التفاؤل في الجمل الدعائية، والتباعد عن صيغة الأمر تأدبا واحتراما للسامع، والتنبيه على تيسر المطلوب وسهولته لوفرة الأسباب واستكمال العدة، وإظهار الرغبة في الحصول على المطلوب، والتنبيه على سرعة الامتثال، وحمل المخاطب على الفعل بألطف أسلوب.

---

(١) الآية ٧٥ مريم.

(٢) انظر: الفائق ( رجو ) ٢ / ٤٥ ـ ٤٦ ، والنهاية ( رجا ) ٢ / ٢٠٧.

(٣) أخرجه البخاري في عدة مواضع ، انظر فتح الباري ٦ / ٥٩٥ ( رقم ٣٤٨٤ ).

(٤) الآية ٤٠ فصلت.

(٥) انظر : النهاية ( حيا ) ١ / ٤٧٠ ـ ٤٧١ ، ( صنع ) ٣ / ٥٥.

ووقف العالمان الجليلان على أساليب تدخل عند علماء البلاغة المتأخرين فيما سموه بالمشاكلة :

ففي الحديث " لاتسموا العنب الكرْم، فإنما الكرْم الرجل المسلم "[١]. قال الزمخشري: أراد أن يقرر ويشدّد مافي قوله عز وجل: ( إن أكرمكم عند الله أتقاكم )[٢]، بطريقة أنيقة، ومسلكٍ لطيف، ورمزٍ خلوب. فبصر أن هذا النوع من غير الأناسي المسمّى بالاسم المشتق من الكرَم أنتم أحقّاء بألا تؤهلوه لهذه التسمية، ولا تطلقوها عليه، ولا تسلموها له، غَيْرةً للمسلم التقي، وربْأً به أن يشارك فيما سمّاه الله به، واختصّه بأن جعله صفته، فضلاً أن تسموا بالكريم من ليس بمسلم، وتعترفوا له بذلك. وليس الغرض حقيقة النهي عن تسمية العنب كَرْماً، ولكن الرمز إلى هذا المعنى، كأنه قال: إن تأتّى لكم ألاّ تسموه مثلاً باسم الكرْم، ولكن بالحَفنة والحبَلة، فافعلوا. وقوله: " فإنما الكرْم " أي فإنما المستحقّ للاسم المشتقّ من الكرَم المسلم. ونظيره في الأسلوب قوله تعالى: ( صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة )[٣].

وقد نقل ابن الأثير كلام الزمخشري، وذكر قولا آخر في تسمية الكرْم كرما، قال: قيل: سمي الكرْم كرْما؛ لأن الخمر المتخَّذة منه تحث على السخاء والكرم، فاشتقوا له منه اسماً، فكره أن يسمّى باسمٍ مأخوذٍ من الكرَم، وجعل المؤمن أولى به[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في حديثين لأبي هريرة ، لفظ الأول : لاتسموا العنب الكرم ، ولا تقولوا خيْبة الدهر ، فإن الله هو الدهر . ولفظ الآخر : ويقولون الكرم، إنما الكرم قلب المؤمن . انظر : ابن حجر: فتح الباري : ١٠ / ٥٨٠ ، ٥٨٢ ( حديث رقم ٦١٨٢ ، ٦١٨٣) . كما أخرجه مسلم ٤ / ١٧٦٣ ( رقم ٢٢٤٧ ) . وأبو داود في الأدب ٧٤ ، والدارمي في الأشربة ١٦ . وأحمد في المسند ٢٠ / ٢٢٩، ٢٥٩ ، ٢٧٢ ، ٣١٦ ، ٤٦٤ ، ٤٧٦ ، ٥٠٩.

(٢) الآية ١٣ الحجرات.

(٣) الآية ١٣٨ البقرة . أي تطهير الله ، ؛ لأن الإيمان يطهِّر النفوس . والأصل فيه كما يقول السيوطي : أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماءٍ أصفر يسمونه المعمودية ، ويقولون إنه تطهير لهم ، فعبّر عن الإيمان بـ ( صبغة الله ) للمشاكلة بهذه القرينة . انظر الإتقان ٢ / ٢٨٢.

(٤) انظر النهاية ( كرم ) ٤ / ١٦٧.

وفي الحديث " اكلَفوا من العمل ماتُطيقون، فإن الله لايمَلّ حتى تَمَلُّوا "[١]. قال ابن الأثير:أن معناه أن الله لايمَلّ أبداً، ملَلْتم أو لم تملّوا، فجرى مجرى قولهم: حتى يشيبَ الغراب، ويبْيَضَّ القارُ[٢]. وقيل معناه: أن الله لايَطَّرِحُكم حتى تتركوا العمل، وتزهدوا في الرغبة إليه، فسمّى الفعلين مللاً،وكلاهما ليس بملل، كعادة العرب في وضع الفعل موضعي الفعل إذا وافق معناه، نحو قولهم[٣]:

ثم أضحَوا لعب الدهر بهم ... وكذاك الدهر يودي بالرجال

ْفجعل إهلاكه إياهم لعبا . وقيل معناه أن الله لايقطع عنكم فضله حتى تملُّوا سؤاله، فسمّى فعل الله مللاً على طريق الازدواج في الكلام، كقوله تعالى: ( وجزاء سيئةسيئة مثلها )[٤]، وقوله: ( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه )[٥]، وهذا باب واسع في العربية، كثير في القرآن[٦].

وفي الحديث " لولا أنّا نعصِي الله ماعصانا "[٧]. قال ابن الأثير: أي لم يمتنع من إجابتنا إذا دعوْناه، فجعل الجواب بمنزلة الخطاب فسمّاه عصيانا، كقوله تعالى: (ومكروا ومكر الله )[٨].

وهذه المسألة الدلالية التي سماها ابن الأثير ازدواجاً، سماها المتأخرون من علماء البلاغة مشاكلة،كما ذكرت آنفا، وأدخلها علماء البديع في المحسنات المعنوية،

---

(١) انظر : صحيح مسلم ١ / ٥٤٠ ( حديث رقم ٧٨٢ ).

(٢)أي الزفت.

(٣) البيت لعديّ بن زيد ، انظر ديوانه ص ٨٣.

(٤) الآية ٤٠ الشورى.

(٥) الآية ١٩٤ البقرة.

(٦) انظر النهاية ( ملل ) ٤ / ٣٦٠.

(٧) انظر : أبا نعيم : حلية الأولياء ٤ / ١٠٥.

(٨) الآية ٥٤ آل عمران . وانظر النهاية ( عصا ) ٣ / ٢٥١.

وعرّفوها بذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا[١]. ( وما جاء في حديث الكرم وآيته من الشق التقديري ).

وفي حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه " أنه قال لفلان: أشهد أن النبي ﷺ قال : إني أو إياك فرعونُ هذه الأمة "[٢]. قال ابن الأثير: يريد انك فرعون هذه الأمة، ولكنه ألقاه إليه تعريضا لا تصريحاً، كقوله تعالى: ( وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين )[٣]، وهذا كما تقول: أحدنا كاذبٌ وأنت تعلم أنك صادق، ولكنك تُعَرِّض به.

## اهتمام الزمخشري وابن الأثير بذكر القراءات القرآنية:

عُنِي بالقراءات القرآنية اللغويون والنحاة منذ شُغلوا باللغة ونحوها، وكان الأوائل منهم قراءً، والمعروف أن المتأخرين من نحاة البصرة أخذوا من القراءات مايقبله قياسهم وترتضيه أصولهم، ورفضوا مايتعارض مع ذلك، وأن نحاة الكوفة جعلوا القراءة أصلا وأقوى من الشعر وغيره في الاستشهاد، وهي نظرة أسلم وأصح من نظرة البصريين؛ لأن اتخاذ القراءات مصدرا للاستشهاد يثري اللغة ويزيد من رصيدها ويجعلها غنية بأساليبها على الدوام، فلا تمد يدها إلى تعريب أو دخيل بالإضافة إلى أن سندها الرواية، ودعامتها السماع، ورواتها يتحرجون من عدم الدقة فيها بخلاف غيرها[٤].

والمعروف أن القراءة المقبولة إجماعا هي التي وافقت العربية ورسم المصحف ونقلت بطريق التواتر، وأن القراءة المردودة إجماعا هي التي خالفت العربية أو الرسم، وأن القراءة المختلف فيها هي التي وافقت العربية والرسم ونقلت عن الثقات بطريق الآحاد، فقد رأى الجمهور أنها تُردّ ولا يقرأ بها في الصلاة، سواء اشتهرت

---

(١) انظر : السيوطي : الإتقان ٣ / ٢٨٢ ، ٢٨٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ.

(٢) انظر النهاية ( إيا ) ١ / ٨٨.

(٣) الآية ٢٤ سبأ.

(٤) راجع د / عبد العال سالم مكرم : أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ص ٥٥ وما بعدها ، ط الكويت.

واستفاضت أم لا، ورأى مكي بن أبي طالب القيسي ( ت٤٣٧ ) وابن الجزري (ت٨٣٣) أنها تقبل ويصح القراءة بها بشرط صحة سندها واشتهارها واستفاضتها، وإلا فيمنع من القراءة بها إجماعا[١].

واستعان شراح غريب الحديث والأثر بإيراد القراءات القرآنية :

وقد أوضح ابن الأثير في نهايته حديث " أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف " [٢]، وقال: أراد بالحرف اللغة، يعني على سبع لغات من لغات العرب، أي إنها مفرقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة أهل اليمن، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، على أنه قد جاء في القرآن ماقد قرئ بسبعة وعشرة، كقوله تعالى: ( مالك يوم الدين )، و ( عبد الطاغوت )، ومما يبين ذلك قول ابن مسعود: إني قد سمعت القراءة فوجدتهم متقاربين، فأقرأوا كما عُلِّمتم، وإنما هو كقول أحدكم هلُمّ، وتعال، وأقبل. وفيه أقوال غير ذلك،هذا أحسنها "[٣].

نعم لقد تعددت نظرات العلماء واختلفوا اختلافا كبيرا إلى حد أن السيوطي ذكر أن فيه أربعين وجها[٤]. وقد استحسن ابن الأثير ماذكره، وهو قريب مما ذهب نفر من المتقدمين أمثال ابن قتيبة والطبري[١].

---

(١) راجع مكي ابن أبي طالب : الإبانة عن معاني القراءات ص ١٧ تحقيق د / عبد الفتاح شلبي " نهضة مصر ، وابن الجزري : النشر في القراءات العشر ١ / ٩ ط مصطفى محمد ، وعبد الفتاح القاضي : القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ص ٧ ـ ١٠ طبعة بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٢) أخرج الستة ( البخاري ومسلم ومالك والنسائي والترمذي وأبو داود ) هذا الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وبدايته: " سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة ... " ، ونهايته " ... إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا متيسر منه " . وانظر ابن الديبع الشيباني تيسير الوصول إلي جامع الأصول ١ / ٢٠٠.

(٣) انظر النهاية ( حرف ) ١ / ٣٦٩.

(٤) انظر الإتقان في علوم القرآن ج / ٦١ ، ط مصطفى البابي الحلبي ، قال : " اختلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولا ، ثم ذكر ستة عشر قولا في ص ٦١ ـ ٦٤ ، ثم ذكر لابن حيان خمسة وثلاثين قولا في ص ٦٥ ـ ٦٦.

وقد نظرت في القراءات القرآنية التي أوردها الزمخشري في فائقه، وابن الأثير في نهايته فوجدتهما ينسبان القراءة التي يذكرانها إلى من قرأ بها في الغالب، ونص ابن الأثير على شذوذ قراءة واحدة فقط موافقا من تقدمه من علماء القراءات.

أما الزمخشري فقد أورد قراءة قرآنية واحدة ذكر أنها غُلِّطت، وذلك عند قوله في حديث الأضاحي " كلوا وادّخروا وأْتّجروا "[٢]: أي اتخذوا الأجر لأنفسكم بالصدقة منها، وهو من باب الاشتواء والاذِّباح، واتّجِروا على الإدغام خطأ؛ إن الهمزة لاتدغم في التاء، وقد غُلِّط من قرأ ( الذي اتُّمِن )[٣]. وأما ما روي أن رجلا دخل المسجد وقد قضى النبي ﷺ صلاته فقال: من يتّجر فيقوم فيصلي معه؟[٤]،فوجهه إن صحت الرواية أن يكون من التجارة؛ لأنه يشتري بعمله المثوبة، وهذا المعنى يعضده مواضع في التنزيل والأثر وكلام العرب[٥].

وقد كان من عادة الزمخشري أن ينسب الخطأ إلى القراءة كما يقول أبو حيان[٦].

كما تأملت في الغرض الذي دفع الزمخشري وابن الأثير إلى تناول القراءة القرآنية في كتابيهما فوجدت الآتي:

١ـ ينقل ابن الأثير عن الصحابي أو التابعي تفسير كلمة في قراءة قرآنية، معتبرا هذا التفسير أثرا يستحق التوضيح، فيزيد التفسير تفسيرا. ولم أجد هذا الغرض عند الزمخشري.

---

(١) انظر ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ص ٢٨ ، ٢٩ تحقيق السيد أحمد صقر ط دار إحياء الكتب العربية ، والطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١ / ١٥ ، ١٦.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤ / ١٥ ، ٥ / ٥٧ ، ٧٦.

(٣) الآية ٢٨٣ البقرة ، وهي قراءة شاذة لعاصم ، ورآها غير الزمخشري لغة رديئة ، انظر أبا حيان : البحر المحيط ٢ / ٣٥٦ ، الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ ، ط السعادة.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣ / ٥ ولفظه "من يتجر على هذا ،أو يتصدق على هذا فيصلي معه ؟.

(٥) انظر الفائق ( أجر ) ١ / ٢٥ ـ ٢٦.

(٦) انظر البحر المحيط ٥ / ٣١٤.

ومن أمثلة هذا الغرض قول ابن الأثير " في حديث ابن عباس في قوله تعالى: ( إنها ترمي بشرر كالقَصَر )[١]بالتحريك: " كنا نرفع الخشب للشتاء ثلاث أذرع او أقل ونسميه القصَر "، يريد قصَر النخل، وهو ماغلظ من أسفلها، أو أعناق الإبل، واحدتها قصَرة "[٢].

وقوله في " حديث الأسود بن زيد في قوله تعالى: ( وإنا لجميع حـذِرون )[٣]: " مُقْوُون مُؤْدون "، أي كاملوا أداة الحرب "[٤].

٢ ـ ينقل ابن الأثير عن الصحابي أو التابعي قراءة قرآنية ويفسر ابن الأثير كلمة فيها؛ إثراء للمادة اللغوية التي يحشد تحتها الأحاديث والآثار، ولم أجد هذا الغرض عند الزمخشري:

ومن أمثلة هذا الغرض قول ابن الأثير " وفي حديث مجاهد أنه قرأ ( حتى يلج الجُمَّل في سُمّ الخياط )[٥]: الجُمَّل ـ بضم الجيم وتشديد الميم ـ قَلْس السفينة " [٦].

---

(١) الآية ٣٢ المرسلات ، وقرأ بهذه القراءة أيضا ابن جبير ، ومجاهد ، والحسن ، وابن مقسم . انظر أبا حيان : البحر المحيط ٨ / ٤٠٧ ، والقرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ١٦٢.

(٢) انظر النهاية ( قصر ) ٤ / ٦٨ ـ ٦٩.

(٣) الآية ٥٦ الشعراء ، قرأ الكوفيون ، وابن ذكوان ، وزيد بن علي ، ( حاذرون ) بالألف ، وهو الذي قد أخذ يحذر ويجدد حذره ، وقرأ باقي السبعة بغير ألف ، وهو المتيقظ . انظر أبا حيان : البحر المحيط ٧ / ١٨.

(٤) انظر النهاية ( حذر ) ١ / ٣٢.

(٥) الآية ٤٠ الأعراف . وقرأ بهذه القراءة أيضا ابن عباس فيما روى عنه شهر بن حوشب ، وابن يعمر ، وأبو مجلز ، والشعبي ، ومالك بن الشخير ، وأبو رجاء ، وأبو رزين ، وابن محيصن ، وأبان عن عاصم . انظر أبا حيان : البحر المحيط ٤ / ٢٩٧.

(٦) انظر النهاية ( جمل ) ١ / ٢٩٩. وقَلْس السفينة حبل ضخم من ليف أو خوص كما ذكر صاحب القاموس المحيط ، أو هو عبارة عن حبال تجمع وتفتل وتصير حبلا واحدا كما ذكر أبو حيان.

**٣ـ يسوق ابن الأثير القراءة القرآنية لتوثيق لفظ ومعناه ورد في الحديث أو الأثر الذي يذكره، وهذا هو الغرض الوحيد الذي ساق الزمخشري القراءة القرآنية من أجله:**

**ومن أمثلة هذا قول ابن الأثير:" وفي حديث علي والعباس " أنهما دخلا على عمر رضي الله عنه وهما يختصمان في الصوافي التي أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من أموال بني النضير "[١]: الصوافي: الأملاك والأراضي التي جلا عنها أهلها أو ماتوا ولا وارث لها، واحدها صافية. قال الأزهري: يقال للضياع التي يستخلصها السلطان لخاصته الصوافي. وبه أخذ من قرأ ( فاذكروا اسم الله عليها صوافيَ )[٢]، أي خالصة لله تعالى "[٣].**

**وقول الزمخشري: " في الحديث: كانوا يتأمون شرار ثمارهم في الصدقة "[٤]: أي يقصدون، وفي قراءة عبد الله ( ولا تأموا الخبيث )[١].**

---

(١) الحديث إسناده صحيح ، أخرجه البخاري عن مالك بن أنس بن الحدثان في الفرائض ، وفي الجهاد ، وفي المغازي ، وفي تفسير سورة الحشر ، وفي النفقات ، وفي الاعتصام . وأخرجه مسلم أيضا في الجهاد . ولفظ الشيخين لم يتضمن " الصوافي " ، وهو حديث طويل ، وأوله بلفظ الشيخين " أرسل إليّ عمر رضي الله عنه فجئته حين تعالى النهار ... " ، وآخره " ... لا والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة ، فإن عجزتما عنها فرداها إليّ " . وأخرجه الترمذي في السير ( حديث رقم ١٦١٠ ) ، وأبو داود في الخراج والإمارة : باب في صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأموال ، وفي مواضع أخرى ( انظر الأرقام ٢٩٦٣ ، ٢٩٦٤ ، ٢٩٦٥ ، ٢٩٦٧ ) ، وفي رواية له عن مالك بن أنس قال : كان فيما احتج به عمر انه قال : كانت لرسول الله ثلاث صفايا : بنو النضير ، وخيبر ، وفدك ، وقد أخرجها ابن الأثير في جامع الأصول ٢ / ٦٩٧ ـ ٧٠٧ حديث رقم ١٢٠٢ . كما أخرجه النسائي ٧/ ١٣٦ ، ١٣٧ . وانظر ابن الديبع الشيباني: تيسير الوصول إلى جامع الأصول١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٢) الآية ٣٦ الحج . قرأ بها أبو موسى الأشعري ، والحسن ، ومجاهد ، وزيد بن أسلم ، وشقيق ، وسليمان التميمي ، والأعرج . انظر : أبا حيان : البحر المحيط ٦ / ٣٦٩.

(٣) انظر النهاية ( صفا ) ٣ / ٤٠ ، والأزهري في تهذيب اللغة١٢ / ٢٤٩.

(٤) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى برواية " يتيممون " ٤ / ١٣٦ ( رقم ٧٣١٦ ) تحقيق محمد الأعظمي المدينة المنورة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م ط١.

وقول الزمخشري في قول الزهري رحمه الله " من امتُحن في حدٍّ فأَمِهَ، ثم تبرَّأ فليس عليه عقوبة، وإن عوقب فأمِهَ فليس عليه حدّ إلا أن يأْمَه من غير عقوبة ": الأَمَهُ: النسيان، وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما ( وادّكر بعد أَمَه )[٢]بفتح الهمزة، والميم مخففة وهاء، ولّما كان في نسيان الشيء تركه وإغفاله ـ ولهذا فسر ـ قوله: (فنَسيتَها)[٣]بالترك ـ قال: فأمِه، أي ترك ماكان عليه من التبرُّؤ والجحود تَرْك الناسي له، ومعناه يؤول إلى الاعتراف "[٤].

وقول الزمخشري في الحديث " يدا الله بُسْطان لُمسيء النهار حتى يتوب بالليل، ولمسيء الليل حتى يتوب بالنهار "[٥]: يقال : يد فلان بُسُط ( بضم الباء والسين) إذا كان منفاقا منبسط الباع، ومثله في الصفات روضة أُنُف، ومِشية سُجُح، ثم يخفف فيقال: بُسْط، كعنْق وأُذْن، جُعل بسط اليد كناية عن الجود، حتى قيل للملك الذي يطلق عطاياه بالأمر والإشارة: مبسوط اليد، وإن كان لم يعط منها شيئا بيده، ولا يبسطها به ألبتة، وكذلك المراد بقوله: يدا الله بُسْطان، وبقوله تعالى: ( بل يداه مبسوطتان )[٦]، الجواد والإنعام لاغير، من غير تصور يد ولا بسطها؛ لأن قولهم: مبسوط اليد وجَوَاد عبارتان معتقبتان على معنى واحد، والمعنى: إن الله جواد بالغفران

---

(١) الآية ٢٦٧ البقرة ، انظر أبا حيان : البحر المحيط ٢ / ٣١٨ ، والفائق ( أمم ) ١ / ٥٩.

(٢) الآية ٤٥ يوسف ، وقرأ بها أيضا زيد بن علي ، والضحاك ، وقتادة ، وأبو رجاء ، وشبيل بن عزرةالضُّبَعِيّ ، وربيعة بن عمرو ، ، وكذلك قرأ ابن عمر ، ومجاهد ، وعكرمة ، واختلف عنهم . انظر : ابن جني المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ١ / ٣٤٤ تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٦هـ ، وأبا حيان : البحر المحيط ٥ / ٣١٤.

(٣) الآية ١٢٦ طه.

(٤) انظر الفائق ( أمه ) ١ / ٥٨.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٨ / ٥٣٠ ( رقم ٣٥٣٤٥ ) ، والفائق ( بسط ) ١ / ١٠٧.

(٦) الآية ٦٤ المائدة .الأولى أن نثبت لله ما أثبته لنفسه على ما يليق به ، ولا مسوّغ للتأويل .(الخراط).

للمسيء التائب. رزقنا الله التوبة ومغفرة الذنوب. وفي قراءة ابن مسعود ( بل يداه بُسْطان )[١].

وقول الزمخشري في الحديث " من اقتراب الساعة إخراب العامر، وعمارة الخراب، وأن يكون الفيء رِفدا، وأن يتمرَّس الرجل بدينه تمرّس البعير بالشجرة [٢]: وقالأبو عمرو: الإخراب: أن يترك الموضع خربا، والتخريب الهدم، وقرأ وحده (يُخَرِّبون بيوتهم )[٣]،مشددة، والباقون يُخْرِبون، والمراد مايخربه الملوك من العمران، وتعمّره من الخراب شهوة لاصلاحا[٤].

وقول الزمخشري في حديث مجاهد رحمه الله تعالى " من أسماء مكة بكة، وهي أم رُحْم، وهي أم القرى، وهي كوثى، ، وهي الباسّة، وروي الناسّة[٥]: وأمّ رُحم: أصل الرحمة، يقال: رحِمه رَحْما ورُحْما، قال الله تعالى: ( وأقرب رُحْما )، قرئ باللغتين ...[٦].

---

(١) انظر البحر المحيط ٣ / ٥٢٤.

(٢) انظر : المتقي الهندي : كنز العمال ١٤ / ١٠٥ ( رقم ٣٨٥٣٤ )عناية محمود الدمياطي بيروت ، دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م . الفيء : الخراج ، أي يصلون به من أرادوا ، ولا يصرفونه إلى مصارفه . ويتمرّس بدينه : أي يتلعب به ويعبث ، كما يتحكك البعير بالشجرة متعبثا.

(٣) الآية ٢ الحشر ، قرأ بالتشديد أيضا قتادة ، والجحدري ، ومجاهد ، وأبو حيوة ، وعيسى . وقرأ باقي السبعة بالتخفيف ، ورأى أبو حيان أن القراءتين بمعنى واحد، كما ذكر رأي أبي عمرو بن العلاء ،انظر البحر المحيط ٨ / ٢٤٣.

(٤) انظر الفائق ( خرب ) ١ / ٣٦١.

(٥) قيل سميت بكّة لتباكّ الناس فيها ، وهو ازدحامهم . وقيل لأنها تبك أعناق الجبابرة ومن ألحد فيها بظلم ، أي تدقها . وهي الباسّة أو الناسّة ؛ لأنها تبسهم ، أي تطردهم ، وتنسّهم أي تزجرهم وتسوقهم . وقيل في أم القرى ؛ لأنها أول الأرض وأصلها، ومنها دحيت . وكوثَى بقعة بمكة ، وهي محلة عبد الدار . انظر الفائق ( بكك ) ١ / ١٢٦.

(٦) الآية ٨١ الكهف . قرأ ابن عامر، وأبو جعفر في رواية ، ويعقوب ، وأبو حاتم ( رُحُما ) بضم الراء والحاء ، وقرأ ابن عباس ( رَحِما ) بفتح الراء وكسر الحاء ، انظر : أبا حيان : البحر المحيط ٦ / ١٥٥.

وقول الزمخشري في " حديث النبي ﷺ قال لعائشة ـ وسمعها تدعو على سارق ـ: لاتُسَبِّخي عنه بدعائك عليه"[١]: أي لاتخففي، يقال: اللهم سبِّخ عنه الحمى، أي سلّها وخففها، وقال اللِّحياني: سبَّخ الحرُّ تسبيخا إذا صار خوّارا. ومنه قوله تعالى: (سبْخا طويلا )[٢]،أي راحة وخفة.

وقول الزمخشري في الحديث " إن رجلا شكا إليه ﷺ الجوع، فأتى بشاة مَصْلِيَّة فأطعمه منها "[٣]: يقال: صَلَيْته إذا شويته، وأصليته وصلَّيْته إذا ألقيته في النار أريد إحراقه، وفي قراءة حميد الأعرج ( فسوق نَصْليه نارا )[٤]بالفتح[٥].

وقول الزمخشري في الحديث " من كان له في المدينة أصل فليتمسك به، ومن لم يكن له فليجعل له بها أصلا، ولو قَصَرة "[٦]: أي ولو أصل نخلة واحدة، والجمع

---

(١) أخرجه أبو داود في الوتر٢٣ ، والأدب ٤٦ ، وأحمد في مسنده ٦ / ٤٥ ، ١٣٦ ، ٢١٥.

(٢) الآية ٧ المزمل ، قال أبو حيان في البحر المحيط ٨ / ٣٦٣ : قرأ الجمهور ( سبحا ) بالحاء ، أي تصرفا وتقلبا في المهمات كما يتردد السابح في الماء ، وقرأ ابن يعمر وعكرمة وابن أبي عبلة ( سبخا ) بالخاء المنقوطة ، ومعناه خفة من التكاليف ، وهو استعارة من سبَخَ الصوفَ إذا نفسَه ونشر أجزاءه ، فمعناه انتشار الهمة وتفرق الخاطر بالشواغل . ونقل عن صاحب اللوامح أن ابن يعمر وعكرمة فسّرا السبخ بالنوم ، أي تنام بالنهار لتستعين به على قيام الليل.

(٣) أخرجه الترمذي في الصوم ٣ / ٢٠٢ ، وكذا الدارمي في الصوم ٣ / ٢ ، ط دار إحياء السنة النبوية ، وفيه عن صلة بن زفر قال : كنا عند عمار بن ياسر فأتى بشاة مَصْليّة فقال : كلوا ، فتنحى بعض القوم ، فقال إني صائم ، فقال عمار: من صام اليوم الذي يشك فيه الناس فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم.

(٤) الآية ٣٠ النساء ، قرأ الجمهور بضم النون ، وقرأ النخعي والأعمش بفتحها ، انظر أبا حيان : البحر المحيط ٣ / ٢٣٣ ، وذكرهما ابن جني ومعهما حميد ، انظر المحتسب ١ / ١٨٦.

(٥) انظر الفائق ( صلى ) ٢ / ٣١٠.

(٦) ذكره الهيثمي في مجمعه ٣ / ٣١٠ بدون " ولو قصَرة " ، وعزاه للطبراني في الكبير.

قَصَر، وفسّر قوله تعالى: ( بشَرَرٍ كالقصَر )[١]ـ فيمن حرك ـ بأنه جمع قصَرة، وهو أصل الشجرة ومستغلظها، وبأعناق النخل، وبأعناق الإبل[٢].

وقول الزمخشري في حديث النبي ﷺ " قال معاوية بن الحكم السلَمي[٣]: صليت مع رسول الله ﷺ فعطس بعض القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، وجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصمِّتونني قلت: واثكل أماه! مالكم تُصمِّتونني؟ فلما قضى النبي ﷺ صلاته، فبأبي هو وأمي، مارأيت معلما قبله ولا بعده كان أحسن تعليما منه، ماضربني، ولا شتمني، ولا كهرني، قال: إن هذه الصلاة لايصلح فيها شيء من كلام الناس، وإنما هي للتسبيح والتكبير وقراءة القرآن "[٤]: الكهْر والنهْر والقهْر أخوات، وفي قراءة عبد الله ( فأما اليتيم فلا تكهر)[٥]، يقال: كهرت الرجل إذا زبرته واستقبلته بوجه عابس ...[٦].

٤ـ يورد ابن الأثير القراءة القرآنية لتوثيق مسألة لغوية تطلبها شرحه لحديث أو أثر، سواء كانت تلك المسألة صوتية، أو صرفية، أو نحوية، أو دلالية، ولم أجد هذا الغرض عند الزمخشري، وإن بدا عنده واضحا في الآيات القرآنية التي لم تتعدد فيها القراءات كما سبق.

وأذكر فيما يلي ماذكره ابن الأثير لتوضيح هذا الغرض:

---

(١) الآية ٣٢ المرسلات ، قرأ الجمهور بفتح القاف وسكون الصاد ، وقرأ ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن وابن مقسم بفتح القاف والصاد . انظر أبا حيان : البحر المحيط ٨ ٤٠٧ ، وابن جني : المحتسب ، ولم يذكر الأخيرين.

(٢) انظر الفائق : ( قصر ) ٣ ٢٠٢.

(٣) كان ينزل المدينة ، ويسكن في بني سليم . انظر ابن عبد البر : الاستيعاب ٣ / ١٤١٤، ١٤١٥.

(٤) أخرجه مسلم في المساجد ١ / ٣٨١ حديث رقم ٣٣ .

(٥) الآية ٩ / الضحى ، قرأ الجمهور بالقاف ، وقرأ ابن مسعود وإبراهيم التيمي بالكاف بدل القاف ، وهي لغة بمعنى قراءة الجمهور . انظر أبا حيان : البحر المحيط ٨ / ٤٨٦.

(٦) انظر الفائق ( كهر ) ٣ / ٣ ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

**المسائل الصوتية:**

**١ ـ إبدال الحاء عينا :**

**في حديث عمر رضي الله عنه: بلغني أن ابن مسعود يُقرئ الناس ( عتى حين )[١]، يريد ( حتى حين )، فقال: إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل، فأقرِئ الناس بلغة قريش.قال ابن الأثير: " كل العرب يقولون " حتى " إلا هذيلا وثقيفا فإنهم يقولون " عتّى "[٢].**

**٢ ـ إبدال الهمزة واوا :**

**في حديث الخوف " فوازينا العدو وصاففناهم "[٣].**

**قال ابن الأثير: " الموازاة: المقابلة والمواجهة، والأصل فيه الهمزة، يقال: آزيته إذا حاذيته. قال الجوهري: ولا تقل وازيته. وغيره أجازه على تخفيف الهمزة وقلبها، وهذا إنما يصح إذا انفتحت وانضم ماقبلها نحو جُؤَن، وسُؤَل، فيصح في " الموازاة**

---

(١) الآية ٣٥ / يوسف ، وانظر : السمين الحلبي : الدر المصون ٦ / ٤٩٥.

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث ( عتا ) ٣ / ١٨١.

(٣) أخرجه البخاري :انظر فتح الباري ٢ / ٤٩٧ ( رقم ٩٤٢ ) : ، وجامع الأصول ٥ / ٧٤١ حديث رقم ٤٠٥٥. وأخرجه النسائي ٣ / ١٧١ ـ ١٧٣ في صلاة الخوف عن عبد الله بن عمر ، قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل نجد ، فوازينا العدو فصاففناهم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا ، فقامت طائفة منا معه ، وأقبلت طائفة على العدوّ ، فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ركعة ، وسجد سجدتين ، ثم انصرفوا ، وكانوا مكان أولئك الذين لم يصلوا ، وجاءت الطائفة التي لم تصلّ فركع بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام كل رجل من المسلمين فركع لنفسه ركعة وسجدتين . وأخرجه القاضي عياض في مشارق الأنوار على صحاح الآثار ( وزى ) ٢ / ٢٨٤ ط المكتبة العتيقة بتونس ودار التراث بالقاهرة . انظر : النهاية ( وزا ) ٥ / ١٨٢

( ٢١٦ ) الآية ١٣ البقرة ، وقد قرأ بهذه القراءة أيضا نافع وابن كثير وأبو جعفر ورويس ، والباقون بتحقيق الهمزتين . انظر البنا الدمياطي : الإتحاف ١ / ٣٧٩ ، وعبد الفتاح القاضي : البدور الزاهرة ٢١ . الجُؤَن مفردها جُؤْنة وهي ظرفٌ للطِّيب . انظر الصحاح ( وزا ) ٦ / ٢٦٨.

**"، ولا يصح في " وازينا " إلا أن يكون قبلها ضمة من كلمة أخرى، كقراءة أبي عمرو ( السفهاءُ ولا إنهم )[١].**

**٣ ـ إبدال الضمة فتحة:**

**في حديث أيام التشريق " إنها أيام أكل وشرب "[٢].**

**قال ابن الأثير : " يروى بالضم والفتح، وهما بمعنى، والفتح أقل اللغتين، وبها قرأ أبو عمرو ( شَرْب الهِيم ) [٣]. يريد أنها أيام لايجوز صومها " .**

**المسائل الصرفية:**

**١ ـ فعل ماضٍ قليل الاستخدام :**

**قال ابن الأثير في الحديث " لينتهين أقوام عن ودْعهم الجمعات أو لَيُخْتَمنَّ على قلوبهم "[١]: أي عن تركهم إياها والتخلف عنها، يقال وَدَع الشيء يدعه ودْعا إذا**

---

(١) الآية ١٣ البقرة ، وقد قرأ بهذه القراءة أيضا نافع وابن كثير وأبو جعفر ورويس ، والباقون بتحقيق الهمزتين . انظر البنا الدمياطي : الإتحاف ١ / ٣٧٩ ، وعبد الفتاح القاضي : البدور الزاهرة ٢١ . الجُؤَن مفردها جُؤْنة وهي ظرفٌ للطِّيب . انظر الصحاح ( وزا ) ٦ / ٢٢٦٨.

(٢) رواه أبو داود ٣ / ٣٦٧ ( رقم ٢٨٠٦ ) انظر : النهاية ( شرب ) ٢ / ٤٥٤ ، وجامع الأصول ٦ / ٣٤٨ حديث رقم ٤٥٠١ ، وذكر محققه أن إسناده صحيح ، وابن الديبع الشيباني : تيسير الوصول إلى جامع الأصول ٢ / ٣٠٧ .

وقد أخرجه مسلم في الصيام ، باب تحريم صوم أيام التشريق ١١٤١، عن بنيشة الهذلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله تعالى .

وفي رواية ذكرها أحمد في مسنده ٣ / ٤٥٠ ، ٤٥١ عن محمد بن شهاب الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عبد الله بن حذافة أن ينادي في أيام التشريق أنها أيام أكل وشرب .

وأخرجه النسائي في باب تأويل قوله عزوجل ( قالت الأعراب آمنا ) ٨ / ١٤.

(٣) الآية ٥٥ الواقعة . قرأ المدنيان " نافع وأبو جعفر " وعاصم وحمزة بضم الشين ، وغيرهم بفتحها . انظر ابن مجاهد : السبعة ٦٢٣ ، عبد الفتاح القاضي : البدور الزاهرة ٣١٢ . وممن قرأ بالفتح ـ غير السبعة : الأعرج ، وابن المسيب ، وسبيب بن الحجاب ، ومالك بن دينار ، وابن جريح . انظر البحر المحيط ٨ / ٢١٠.

تركه، والنحاة يقولون: إن العرب أماتوا ماضي " يدع "، ومصدره، واستغنوا عنه بـ " ترك "، والنبي ﷺ أفصح، وإنما يُحمل قولهم على قلة الاستعمال، فهو شاذ في الاستعمال صحيح في القياس، وقد جاء في غير حديث، حتى قرئ به قوله تعالى: (ماودَعك ربك وما قلى )[٢]، بالتخفيف[٣].

٢ ـ اشتقاق فعل :

قال ابن الأثير في حديث موسى والخضر عليهما السلام ( قال لو شئت لَتَخِذتَ عليه أجرا )[٤]:تخِذ يتْخَذ، بوز سمع يسمع، مثل أخذ يأخذ، وقرئ( لتَخَذْ ت )و(لاتّخذت )[٥]، وهو افتعل من " تخِذ " فأدغم إحدى التاءين في الأخرى، وليس من " أخذ " في شيء، فإن الافتعال من " أخذ " " ائتخذ " لأن فاءهما همزة، والهمزة لاتدغم في التاء. وقال الجوهري: الاتخاذ افتعال من الأخذ، إلا أنه أدغم بعد

---

(١)أخرجه مسلم عن الحكم بن ميناء في الجمعة ، باب التغليظ في ترك الجمعة ، حديث رقم ٨٦٥ ، وأخرجه النسائي عن ابن عباس وأبي هريرة في الجمعة ، باب التشديد في التخلف عن الجمعة٣/ ٨٨ ٨٩ ، وأخرجه ابن الأثير في جامع الأصول ٥ / ٦٦٦ ـ ٦٦٧ حديث رقم ٣٩٥٣ وذكر محققه : " وفي نسخة النسائي المخطوطة والمطبوعة عن عبد الله بن عباس وابن عمر ".

(٢) الآية ٣ / الضحى ، قرأبها عروة بن الزبير ، وابنه هشام ، وأبو حيوة ، وأبو بحرية ، وابن أبي عبلة . وأما قراءة الجمهور فهي بتشديد الدال . انظر : أبا حيان : البحر المحيط ٨ / ٤٨٥.

(٣) انظر النهاية ( ودع ) ٥ / ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٤) الآية ٧٧/ الكهف ، قرأ بهذه القراءة عبد الله ، والحسن ، وقتادة ، وابن بحرية . انظر أبا حيان : البحر المحيط ٦ / ١٥٢ . وقرا بها من السبعة ابن كثيروأبو عمرو ، وقرأ الباقون ( لاتَّخَذت ) . انظر السبعة ٣٦٩ . والحديث أخرجه الشيخان والترمذي عن أبي بن كعب ، وهو طويل ، وأوله " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قام موسى عليه السلام خطيبا في بني إسرائيل ... " ، وآخره " رحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما " انظر :فتح الباري ٤ / ٥٢٠ ( رقم ٢٢٦٧ ) ، وابن الأثير : جامع الصول ٢ / ٢٢٠ ـ ٢٢٩ ، وابن الديبعالسيباني : تيسير الوصول إلى جامع الأصول ١ / ١٤٧ ـ ١٤٨ . والرواية المثبتة رواية مسلم ذكرها في الفضائل : باب فضائل الخضر عليه السلام ٢٣٨٠.

( ٢٢٣ ) قرأ بها خمسة من السبعة ، وهم عدا ابن كثير وأبي عمرو .

تليين الهمزة وإبدال التاء،ثم لما كثر استعماله بلفظ الافتعال توهموا أن التاء أصلية، فبنوا منه فعِل يفعَل، قالوا " تَخِذ يتخَذ ".

وأهل العربية على خلاف الجوهري(١).

٣ ـ تثنية لفظ:

قال ابن الأثير في الحديث " يد الله تعالى بُسطان "(٢): أي مبسوطة. قال [ الهروي ]: الأشبه أن تكون الباء مفتوحة حملا على باقي الصفات، كالرحمن، والغضبان، فأمابالضم ففي المصادر كالغفران، والرضوان. وقال الزمخشري: يدا الله بُسطان، تثنية بُسُط، مثل روضة أُنُف، ثم تخفف فيقال بُسْط، كأُذُن وأذْن، وفي قراءة عبد الله ( بل يداه بُسْطان ) جعل بسط اليد كناية عن الجود وتمثيلا، ولا يد ثَمّ، ولا بسط، تعالى الله عن ذلك(٣). وقال الجوهري: ويد بِسط أيضا، يعني بالكسر، أي مطلقة، ثم قال: وفي قراءة عبد الله ( بل يداه بِسطان )(٤).

٤ ـ جمع لفظ جمع تكسير:

---

(١) انظر النهاية ( تخذ ) ١ / ١٨٣.

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء ، وهو رب العرش العظيم ، وباب قول الله : يريدون أن يبدلوا كلام الله ، وفي تفسير سورة هود ، باب وكان عرشه على الماء ، وفي النفقات في فاتحته . ومسلم في الزكاة : باب الحث على النفقة وتبشير المنفق . والترمذي في التفسير، باب ومن سورة المائدة ، حديث رقم ٣٠٤٨. وأخرجه ابن الأثير في جامع الأصول ٥ / ٤حديث رقم ٢٩٨٠ ، وابن الديبع الشيباني : تيسير الوصول إلى جامع الأصول ٢ / ١٤٨ ، قال : أخرجه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة ، حيث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عزوجل : أنفِق أُنفق عليك ، وقال : يد الله ملأى لا تغيضها نفقة ، سحاء الله والنهار ، أرأيت ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض مافي يده وكان عرشه على الماء ، وبيده الميزان يخفض ويرفع ".

(٣) سبق ذكر كلام الزمخشري في أثناء حديثنا عن سوقه القراءة القرآنية لتوثيق لفظ ومعناه ورد في الحديث أو الأثر الذي يذكره ، وقد ذكر القراءة أبوحيان في البحر المحيط ، انظره ٣ / ٥٢٤.

(٤) الآية ٦٤ المائدة . انظر: البحر المحيط ٣ / ٥٢٤، والنهاية ( بسط ) ١ / ١٢٧ ـ ١٢٨، والصحاح ( بسط ) ٣ / ١١١٦.

**قال ابن الأثير في حديث فضالة " كان يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة، حتى يقول الأعراب مجانين، أو مجانون "[(١)]: مجانين جمع تكسير لـ " مجنون "، وأما مجانون فشاذ،كما شذ شياطون في شياطين. وقد قرئ ( واتبعوا ماتتلواالشياطون )[(٢)].وقال في حديث ابن مسعود في قوله تعالى: ( لقد رأى من آيات ربه الكبرى )[(٣)]،قال [ أي ابن مسعود ]: رأى رفرفا أخضر سد الأفق. أي بساطا، وقيل فراشا. ومنهم من يجعل الرفرف جمعا، واحده رفرفة، وجمع الرفرف رفارف، وقد قرئ به (متكئين على رفارف خضر )[(٤)].**

**ـ المسائل النحوية :**

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد : باب ماجاء في معيشة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ،( رقم ٢٣٦٩ ) ، عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة ، وهم اصحاب الصفة ، حتى يقول الأعراب مجانين أو مجانون ، فإذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف إليهم ، فقال : لو تعلمون مالكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة . قال فضالة : وانا يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخرجه أيضا ابن الأثير في جامع الأصول ٤ / ٨٠٣ حديث رقم ٢٨١٨ ( وذكر محققه أن إسناده حسن ) . وقد رواه أيضا ابن حبان في صحيحه ( حديث رقم ٢٥٣٨ ) موارد في الزهد ، باب عيش السلف.

(٢) الآية ١٠٢ البقرة ، قال أبو حيان : قرأ الحسن ، والضحاك " الشياطون " بالرفع بالواو ، وهو شاذ ، قاسه على قول العرب : بستان فلان حوله بسَاتُون ، رواه الأصمعي ، قالوا : والصحيح أن هذا لحن فاحش . وقال أبو البقاء : شبه فيه الياء قبل النون بياء جمع الصحيح ، وهو قريب من اللفظ " . انظر البحر المحيط ١ / ٣٢٦ ، والطبري ٢٧ / ٩٤ ، والقرطبي ١٧ / ١٩٠ ، ومختصر شواذ الاقراءات ١٥٠ ، وانظر النهاية ( جنن ) ١ / ٣٠٩.

(٣) الآية ١٨ النجم . أخرجه مسلم في الإيمان ٢٨٢.

(٤) الآية ٧٦ الرحمن ، قرأ الجمهور رفرف ، وقرأ عثمان بن عفان ونصر بن عاصم والجحدري ومالك بن دينار وابن محيصن وزهير الفُرْقُبِي وغيره " رفارف " جمع لاينصرف . انظر أبا حيان : البحر المحيط ٨ / ١٦٩ . وانظر النهاية ( رفرف ) ٢ / ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ، وابن قتيبة ٢ / ٢٣٤ ـ ٢٣٥ قال : يرويه أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله . ثم فسر الرفرف بما نقله ابن الأثير ، ثم قال : ويقال : الرفرف ضرب من النبات.

**١ ـ زيادة " ما ":قال ابن الأثير في الحديث " أنشُدُك الله لمّا فعلت كذا "[١]: أي إلا فعلته. وتخفف الميم، وتكون " ما " زائدة، وقرئ بهما قوله تعالى: ( إن كل نفس لما عليها حافظ )[٢]، أي ما كل نفس إلا عليها حافظ، وإن كل نفس لعليها حافظ[٣].**

**٢ ـ حذف المنادى:**

**قال ابن الأثير في حديث شداد بن أوس " يانعايا العرب، إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية "[٤]: وفي رواية " يانُعيانَ العرب "، يقال نعى الميتَ**

---

(١) أخرجه البخاري. انظر فتح الباري ٥ / ٢٤١ ـ ٢٦٠ في الشروط : باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، وفي باب مايجوز من الشروط في الإسلام ، وفي الحج : باب من أشعر وقلد بذي الحليفة ثم أحرم ، وباب النحر قبل الحلق ، وفي الحصر ، وفي المغازي : باب غزوة الحديبية ، وفي سورة الممتحنة.

وأخرجه أبوداود في الجهاد : باب في صلح العدو ( رقم ٢٧٦٥ ، ٢٧٦٦ )، وفي السنة : باب في الخلفاء

( رقم ٤٦٥٥ ). وأخرجه ابن الأثير في جامع الأصول ٨ / ٢٩٤ غزوة الحديبية ( حديث رقم ٦١٠٨ ) عن الشيخين عن عروة بن الزبير " ... فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم ، فمن أتاه منهم فهو آمن ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم ، فأنزل الله عز وجل

( وهو الذي كف أيديهم عنكم إلخ ) الفتح ٢٤ ـ ٢٦.

(٢) الآية ٤ الطارق . قرأ ابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، وأبو جعفر بتشديد الميم ، وقرأ الجمهور بتخفيفها . قال أبو حيان : ( إن ) عند البصريين مخففة من الثقيلة ، و ( كل ) مبتدأ ، واللام هي الداخلة للفرق بين " إن " النافية و" إن " المخففة ، و ( ما ) زائدة ، و ( حافظ ) خبر المبتدأ ، و( عليها ) متعلق به . وعند الكوفيين ( إن ) نافية ، وللام بمعنى " إلا " ، و ( ما ) زائدة ، و ( كل ) و ( حافظ ) مبتدأ وخبر . انظر البحر المحيط ٨ / ٤٥٤ ، وانظر عبد الفتاح القاضي : البدور الزاهرة ٣٤٠.

(٣) انظر : النهاية ( لما ) ٤ / ٢٧٤.

(٤) قال القاضي عياض " وقال الأصمعي : إنما هو يانعاء العرب ، أي ياهؤلاء أو ياهذا انع العرب ، قال ابن الأنباري : هو من النعي ، مثل دراكِ " انظر مشارق الأنوار ٢ / ١٩. قال الزمخشري : الشهوة الخفية : قيل هي كل شيء من المعاصي يُضْمره صاحبه ويُصرّ عليه . وقيل أن يرى جارية حسناء فيغض طرفه ، ثم ينظر بقلبه ويمثلها لنفسه فيفتنها . الفائق ( نعى ) ٤ / ٥.

ينعاه نعْيا ونَعِيّا: إذا أذاع موته، وأخبر به، وإذا ندبه. قال الزمخشري: في نعايا ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون جمع نَعِيّ، وهو المصدر، [ كصفيّ وصفايا ]، والثاني: أن يكون اسم جمع، كما جاء في أخِيّة أخايا، والثالث :أن يكون جمع نعاءٍ، التي هي اسم فعل،. والمعنى يانعايا العرب، جئن فهذا وقتكنّ وزمانكنّ، يريد أن العرب قد هلكت.

والنُّعيان مصدر بمعنى النعْي. وقيل إنه جمع ناعٍ، كراعٍ ورُعْيان. والمشهور في العربية أن العرب كانوا إذا مات منهم شريف أو قُتل بعثوا راكبا إلى القبائل ينعاه إليهم، يقول: نَعاءِ فلانا، أو يانَعاءِ العرب، أي هلك فلان، أو هلكت العرب بموت فلان. فنعاءِ من نعيت، مثل نظارِ ودراكِ. فقوله " نعاءِ فلانا " معناه انع فلانا، كما تقول دراكِ فلانا، أي أدركه. فأما قوله " يانَعَاء العرب " مع حرف النداء فالمنادى محذوف، تقديره " ياهذا انعَ العرب "، أو " ياهؤلاء انعوا العرب بموت فلان "، كقوله تعالى: ( ألا يااسجدوا )[1]، أي ياهؤلاء اسجدوا، فيمن قرا بتخفيف ( ألا ) "[2].

ـ المسائل الدلالية :

١ ـ مجيء صيغة بمعنى أخرى:قال ابن الأثير " في حديث المبعث: فقال بعض القوم: قد أصاب هذا الغلامَ لَمٌ أو طَيفٌ من الجنّ "[3]: أي عرض له عارض منهم، وأصل الطيف الجنون، ثم استعمل في الغضب،ومس الشيطان، ووسوسته، ويقال له

(١) الآية ٢٥ النمل.قرأ بالتخفيف ابن عباس ، وأبو جعفر ، والزهري ، والسلمي ، والحسن ، وحميد ، والكسائي . انظرأبا حيان:البحر المحيط ٧ / ٦٨ ـ ٦٩،وقرأ بالتخفيف أيضا رويس.انظر عبد الفتاح القاضي : البدور الزاهرة ٢٣٤.

(٢) انظر النهاية ( نعا ) ٥ / ٨٥ ـ ٨٦.

(٣) انظر : النهاية ( طيف ) ٣ / ١٥٣.

**طائف، وقد قرئ بهما قوله تعالى: ( إن الذين اتقوا إذا مسّهم طيف من الشيطان )[١]، يقال طاف يَطيف ويطوف طيْفا وطوْفا، فهو طائف، ثم سُمّي بالمصدر، ومنه طيف الخيال الذي يراه النائم.**

**٢ ـ التضاد :قال ابن الأثير في الحديث " أنه كان يُخْفي صوته بآمين "[٢]: رواه بعضهم بفتح الياء، من خفَى يَخْفِي إذا أظهر، كقوله تعالى: ( إن الساعة آتية أكاد أَخفيها )[٣]،في إحدى القراءتين[٤].**

---

(١) الآية ٢٠١ الأعراف ، قرأ بحذف الألف التي بعد الطاء وإثبات ياء ساكنة بعدها في مكان الهمزة ابن كثير ، وأبو عمرو ، والكسائي . وكذا يعقوب . وقرأ الباقون بالألف . انظر ابن مجاهد السبعة ٣٠١ ، وعبد الفتاح القاضي : البدور الزاهرة ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٢) قال ابن حجر( ت ٨٥٢ ) : حديث ابن مسعود " أربع يخفيهنّ الإمام : التعوذ ، والتسمية ، وآمين ، وربنا لك الحمد " لم أجده هكذا ، وإنما أخرج ابن الحسن في الآثار عن أبي حنيفة عن حماد عن إبراهيم قال : أربع يخفيهنّ الإمام فذكرها " انظر : الدراية في تخريج أحاديث الهداية ١ / ١٣١ ، وذكر في الباب أيضا : عن علقمة بن وائل عن أبيه أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغ ( غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) قال آمين ، وأخفى بها صوته . أخرجه أحمد والدارقطني والحاكم وأبو يعلى والطبراني والطيالسي . انظر المرجع السابق ١ / ١٣٩.

(٣) الآية ١٥ طه . وقرأ أبو الدرداء ، وابن جبير ، والحسن ، ومجاهد ، وحميد ، ( أَخفيها ) بفتح الهمزة ، ورويت عن ابن كثير وعاصم بمعنى أظهرها ، أي أنها من صحة وقوعها وتيقّن كونها تكاد تظهر ، ولكن تأخرت إلى الأجل المعلوم ، وتقول العرب : خفيت الشيء أي أظهرته . قرأ الجمهور بضم الهمزة ، وهو مضارع أخفى ، بمعنى ستر ، والهمزة للإزالة . انظر أبا حيان : البحر المحيط ٦ / ١٣٢ ، والسمين الحلبي : الدر المصون ٨ / ٢١.

(٤) انظر النهاية ( خفا ) ٢ / ٥٦.

# خاتمـــة

وهكذا غُصْت معـك ـ عزيـزي القـارئ ـ في بحـري الفـائق في غريـب الحـديث للزمخشري بأجزائه الأربعة، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابـن الأثـير بأجزائهـا الخمسة، لمعرفة منزلة القرآن الكريم بقراءاته في شرح كل من العالمين لما رأياه غريبـا في الحديث والأثر، وحققت ما وعدتك به في صدر هذا البحث، فقد جاء القرآن الكريم في الكتابين لأغراض، أهمها مايلي:

١ ـ توثيق معنى لفظ ورد في حديث أو أثر. وهذا هو الغالب في الكتابين.

٢ـ تفسير لفظ ورد في تفسير صحابي أو تابعي للفظ قرآني، حيث يعـد الزمخشرـي وابن الأثير تفسير الصحابي أو التابعي أثرا.

٣ـ توثيق معنى عام مستفاد من الحديث أو الأثر.

٤ ـ الاستشهاد على مسألة لغوية، سواء كانت صوتية، أو صرفية، أو نحوية، أو دلالية.

فعلى المستوى الصوتي رأينا ابن الأثير يستشهد بالقرآن على إبدال صوت من آخر، أو حذفه.

وعلى المستوى الصرفي رأينا كُلاًّ من الزمخشري وابن الأثير يستشهدان عـلى صـيغة فعيل يوصف بها المؤنث بلا علامة تأنيث كما يوصـف بهـا المـذكر، ورأيناالزمخشرـي يستشهد على اسم فعل " هاءَ " وعلى أن الفعل " انقعر " مطاوع " قعره "، وعلى أن ( الكُبَر ) جمع الكُبرى.

وعلى المستوى النحوي اعتنى الزمخشري وابن الأثير في شرحيهما لغريـب الحـديث بالاستشهاد على مسائل نحوية بالقرآن الكريم، وإن كانت الأحاديث التـي تضـمنت هذه المسائل مختلفة بين الكتابين: أما الزمخشري فنراه يستشهد على إثبـات الـواو بعـد ميم الجمع، وحذف العائد من جملتي الصـلة والصـفة،وحذف الضـمير الراجـع مـن الجزاء إلى الاسم المضمن معنى الشرط، وحذف المضاف، وأكثر اسـتعمال " سـوء " على الإضافة، ووصف جماعة مالايعقل بمؤنث، وتعدية فعـل إلى مفعـولين، وتوجيـه إعرابي. وأما ابن الأثير فنراه يستشهد على تمييزٍ محوّلٍ عن الفاعل، وزيادة حـرفي البـاء وهاء السكت ولفظ " اسم "، وإبدال اسم من آخر بإعادة العامل، وإضـافة الشيـء إلى نفسه لاختلاف اللفظين، وحذف كل من المضاف والمضاف إليه، والألـف والـلام بدل من الإضافة، ومعاني حروف الجر " مـن "، والبـاء، والـلام. ووقـف كـل مـن الزمخشري وابن الأثير على بعض الأساليب التي لها دلالة بلاغية، كخروج الكلام على مقتضى الظاهر، والمشاكلة، والتعريض.

وقد نظرت في القراءات القرآنية التي أوردها الزمخشري في فائقة، وابن الأثير في نهايته فوجدتهما ينسبان القراءة التي يذكرانها إلى من قرأ بها في الغالب، ونص ابن الأثير على شذوذ قراءة واحدة فقط من بين ماأثبته، موافقا بعض من تقدمه من علماء القراءات. أما الزمخشري فقد أورد قراءة قرآنية واحدة من بين ماأثبته، ذكر أنها غُلِّطت.

كما تأملت في الغرض الذي دفع الزمخشري وابن الأثير إلى تناول القراءة القرآنية في كتابيهما فوجدت الآتي:

١ـ يسوق ابن الأثير القراءة القرآنية لتوثيق لفظ ومعناه ورد في الحديث أو الأثر الذي يذكره، وهذا هو الغرض الوحيد الذي ساق الزمخشري القراءة القرآنية من أجله:

٢ـ ينقل ابن الأثير عن الصحابي أو التابعي تفسير كلمة في قراءة قرآنية، معتبرا هذا التفسير أثرا يستحق التوضيح، فيزيد التفسير تفسيرا. ولم أجد هذا الغرض عند الزمخشري.

٣ـ ينقل ابن الأثير عن الصحابي أو التابعي قراءة قرآنية ويفسر ابن الأثير كلمة فيها؛ إثراء للمادة اللغوية التي يحشد تحتها الأحاديث والآثار، ولم أجد هذا الغرض عند الزمخشري.

٤ـ يورد ابن الأثير القراءة القرآنية لتوثيق مسألة لغوية تطلبها شرحه لحديث أو أثر، سواء كانت تلك المسألة صوتية، أو صرفية، أو نحوية، أو دلالية، ولم أجد هذا الغرض عند الزمخشري، وإن بدا عنده واضحا في الآيات القرآنية التي لم تتعدد فيها القراءات كما سبق.

فعلى المستوى الصوتي رأيته يستشهد بالقراءة على إبدال الحاء عينا، وإبدال الهمزة واوا، وإبدال الضمة فتحة.

وعلى المستوى الصرفي رأيته يستشهد على ورود فعل ماضي قليل الاستخدام، واشتقاق فعل، وتثنية لفظ، وجمع لفظ جمع تكسير.

وعلى المستوى النحوي رأيته يستشهد على زيادة " ما "، وحذف المنادى.

وعلى المستوى الدلالي رايته يستشهد على مجيء صيغة بمعنى أخرى، ولفظ متضاد المعنى.وصلى الله على نبينا محمد وعلى آلة وصحابته والتابعين .

والحمد لله رب العالمين .

# فهرس


| الموضـــــــــــــــوع | صفحة |
|---|---|
| تمهيد : | ١٩٦ |
| أولاً : اهتمام الزمخشري وابن الأثير بذكر آيات القرآن الكريم | ١٩٨ |
| وجاء القرآن الكريم في الكتابين لأغراض ، أهمها مايلي | ١٩٨ |
| ١ ـ توثيق معنى لفظ ورد في حديث أو أثر . وهذا هو الغالب في الكتابين : | ١٩٨ |
| ٢ ـ تفسير لفظ ورد في تفسير صحابي أو تابعي للفظ قرآني | ٢٠٠ |
| ٣ ـ توثيق معنى عام مستفاد من الحديث أو الأثر: | ٢٠٠ |
| ٤ ـ الاستشهاد على مسألة لغوية، سواء كانت صوتية، أو صرفية، أو نحوية، أو دلالية: | ٢٠١ |
| فعلى المستوى الصوتي | ٢٠١ |
| وعلى المستوى الصرفي : | ٢٠٢ |
| وعلى المستوى النحوي : | ٢٠٤ |
| وعلى المستوى الدلالي : | ٢١٤ |
| اهتمام الزمخشري وابن الأثير بذكر القراءات القرآنية: | ٢٢٧ |
| خاتمة | ٢٤٤ |
| الفهرس | ٢٤٦ |